



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية قناع بلون السماء ل: "باسم خندقجي"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب شعبي

إشراف الأستاذة:

د/ دريدي فريدة

إعداد الطالبتين :

- دلال شلوفي

- مليكة بوطرفة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
وناسة كحيلي	أستاذ محاضر – أ-	الشاذلي بن جديد -الطارف	رئيسا
دريدي فريدة	أستاذ محاضر – أ-	الشاذلي بن جديد -الطارف	مشرفاً ومقرراً
وريدة رباعي	أستاذ التعليم العالي	الشاذلي بن جديد -الطارف	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾



شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، الحمد لله الذي نورنا بنور العقل،
وهدانا إلى طريق المعرفة، وذلك لنا الصعوبات وفقنا لإتمام هذا العمل
المتواضع، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد والشكر بعد الرضى، والصلاة
والسلام على خير الورى محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-
نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة -دريدي فريدة- التي لم تبخل
علينا بتوجيهاتها ونصائحها ومعلوماتها القيمة، ووقتها الثمين رغم انشغالاتها
فكانت تشجعنا عند الصواب ويصحح لنا عند الخطأ.
كما نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا في الحصول على المصادر والمراجع من
أساتذة وأصدقاء،

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية
الذين رافقونا في المسار التعليمي طيلة هذه السنوات
وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة أو دعا لنا في ظهر الغيب
فنسأل العالي القدير أن يتقبل منهم ويجعله في ميزان حسناتهم والحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام
على الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم



إِهْدِ اعْمَلْ

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين)

الحمد لله عند البدء وعند الختام ومن قال أنا لها نالها.

لقد كانت طريقا طويلة مليئة بالإخفاقات

والنجاحات فخورة بكفاحي لتحقيق أحلامي.

إلى معنى الحب وقرّة عيني وأعز ما أملك إلى بسمّة الحياة

وسرّ الوجود إلى من كانا دعائهما سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى والدي حفظهما الله

إلى من جمعنا معهم بيت واحد وكانوا خير سند كل باسمه ، وأختص بالذكر

إلى زوجي وأبنائي قرّة عيني (محمد إسلام وسيرين)

وإخوتي الذين صبروا معي على تحمّل صعاب ومشقة دراستي

فلكم مني جزيل الشكر والامتنان

وإلى أستاذتنا الحبيبة التي قدمت لنا يد العون في إتمام هذا العمل: ب

إلى نفسي التي راهنت على النجاح، اصبري وصابري فلا يزال الطريق طويل

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

عرفان لكم بالجميل وفقني الله وإياكم إلى الخير

بوطفة مليكة

إِهْدَاء

إنّ الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
وأشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله
قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله
في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾ سورة لقمان 14
أهدي مذكرة تخرجي إلى روح وذكري أبي الغالي -رحمه الله-
إلى أمي العزيزة التي حملتني 9 أشهر وأدعوا الله أن يحفظها
إلى قرة عيني أطفالي: تقوى، يحي، ريتال.
وإلى زوجي وأخواتي وإخوتي.
إلى كل من ساعدني في إنجاز مذكرتي.
وفي الأخير أدعوا الله أن يجعل القرآن ربيع قلبي
ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي.

دلال شلوفي



المقدمة:

تشكّل الرواية الفلسطينية مجالاً سردياً معبراً عن التجربة الوجودية والهوية الوطنية للشعب المكافح، والذي يعيش حالة استعمار واحتلال مستمر، وقد اتخذت هذه الرواية منذ نشأتها الأولى وظيفة مزدوجة تمثلت في توثيق المعاناة من جهة، ومقاومة محاولات طمس الذات الفلسطينية من جهة أخرى، ومع تطور الرواية الفلسطينية لم تعد مجرد أداة مباشرة لنقل الواقع فحسب، بل أصبحت فضاءً فنياً يستوعب أسئلة التاريخ، والرمز، والموروث، لتعيد من خلالها تشكيل سردية الهوية والانتماء، ومن هنا تزايد الاهتمام النقدي بتحليل كميّات تمثل الموروث الثقافي الفلسطيني داخل النصوص الروائية، باعتباره أهم الروافد العميقة التي تسهم في تشكيل المعنى وازدياد الوعي.

وعلى هذا الأساس ارتأينا أنّ يكون بحثنا موسوماً بـ "الموروث الثقافي الفلسطيني

في رواية قناع بلون السماء لـ "باسم خندقجي"، ويتناول البحث كيفية توظيف عناصر

الموروث في هذه الرواية، وتحليل أبعادها الدلالية والجمالية، وموقعها في بناء الخطاب الروائي

المعاصر، وبهذا يسعى البحث إلى فهم العلاقة بين الموروث والهوية والمقاومة، من خلال تتبع

حضور الرموز التراثية والدينية والتاريخية والأسطورية في الرواية، وتحليل وظائفها داخل السياق

السردى، وبالطبع لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع عبثاً، بل يمكن رده لأسباب ذاتية تنبع من

اهتمامنا الشخصي بالأدب الفلسطيني عموماً، وبالرواية بوصفها أداة تعبيرية ذات طاقة تمثيلية

جمالية، فضلاً عن انجذابنا إلى القضايا الثقافية والهوياتية، التي تتقاطع مع قضايا التحرر الوطني

والإنساني، وقد مثل الاطلاع على رواية قناع بلون السماء تجربة فكرية وجمالية، دفعتنا إلى

التعمق في بنيتها واستكشاف مضامينها التراثية.

أما الأسباب الموضوعية تكمن في ندرة الدراسات التي تناولت رواية "قناع بلون السماء" من زاوية تحليل الموروث الثقافي بالرغم من غنى الرواية بالرموز والمكونات التراثية والدينية والتاريخية، كما أنّ البحث في هذا الجانب يُسهم في سد فجوة بحثية اتسعت حلقاتها المبهمة، ويضيف إلى الحقل النقدي فهما أعمقا لتجليات الثقافة والتراث في الرواية الفلسطينية، وذلك في ظل تزايد الحاجة إلى دراسة النصوص الأدبية من منطلقات ثقافية وإيديولوجية وفنية.

وتتمحور إشكالية البحث حول تبيان أهمية الرواية الفلسطينية، وقدرتها على تمثيل واستيعاب الموروث الثقافي بأبعاده المختلفة، وللإجابة عن هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات التالية:

-ما المقصود بالموروث الثقافي، وما أبرز أنواعه وتجلياته الممكنة داخل النصوص الأدبية؟
-ما أهم الموضوعات التي تتمحور حولها الرواية الفلسطينية، وما هو موقع الموروث الثقافي ضمن هذه الموضوعات؟

-كيف وظف الروائي "باسم خندقجي" عناصر الموروث الثقافي (الديني، التاريخي، الأدبي والشعبي) في رواية "قناع بكون السماء"؟

-إلى أي مدى يسهم توظيف الموروث في بناء الهوية السردية والخطاب المقاوم داخل الرواية الفلسطينية المعاصرة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات تم ضبط خطة منهجية اشتملت على مقدمة وفصلين وخاتمة، أما الفصل الأول كان معنونا بالإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي، والرواية الفلسطينية نشأتها وتطورها، حيث اندرجت تحته واندرجت تحته عدة عناصر أبرزها: مفهوم

الموروث لغة واصطلاحاً، مفهوم الموروث الثقافي، وأهم أنواعه. إضافة إلى تقديم لمحة موجزة حول تطوّر ونشأة الرواية الفلسطينية، وأهم موضوعاتها.

أما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان: مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية قناع بلون السماء، فتناولنا فيه موضوعات الرواية الفلسطينية "قناع بلون السماء أنموذجاً"، وتجليات الموروث الثقافي في رواية قناع بلون السماء. وأمّا الخاتمة فقد جاءت لإبراز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأنهيينا بحثنا بملحق تضمّن نبذة عن حياة الكاتب وملخص للرواية، وللخوض في غمار البحث النظري المنهج الذي اعتمدنا عليه في دراستنا فهو المنهج الموضوعاتي مع الاعتماد على الوصف وآلية التحليل الذي ييسر تحليلنا لعناصر البحث.

ويهدف هذا البحث إلى تتبع تجليات الموروث الثقافي في الرواية الفلسطينية من خلال رواية "قناع بلون السماء" عبر تحليل رموزه، وشخصياته، وأبعاده الدلالية، بهدف إبراز دور هذا الموروث في تشكيل الهوية الوطنية والوعي الجمعي.

وقد اعتمدنا في دراستنا على مراجع ثمنت بحثنا ولعل أهمها: كتاب توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة لـ "محمد رياض وتار"، كتاب استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر الجزائري المعاصر لجمال سفاري، كتاب اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتّوطين لإبراهيم الجندي. وكغيره من البحوث الأكاديمية فقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات لعلّ أبرزها، ندرة المراجع النقدية الخاصة برواية قناع بلون السماء، خصوصاً أنّ الكاتب لا يزال يكتب من داخل السجن مما يحد من التفاعل النقدي المباشر مع إنتاجه، كما تطلب تحليل البنية الرمزية جهداً في التأويل والتأصيل.

وفي الختام نتوجه بخالص الشكر والإمتنان إلى أستاذتنا المشرفة الكريمة "ديدي فريدة"، على دعمها وتوجيهها خلال مراحل هذا العمل، كما نقدر كل ما ساهم في تسهيل هذا الجهد البحثي.

والحمد لله الذي وفقنا في إتمام هذا البحث المتواضع وتخطي هذه العراقيل ونسأل الله

التوفيق والسداد.

-ج-



الفصل الأول : الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي،
والرواية الفلسطينية نشأتها وخصائصها.

تمهيد

أولاً: مفهوم الموروث

ثانياً: مفهوم الموروث الثقافي

ثالثاً: أنواع الموروث الثقافي

رابعاً: نشأة وتطور الرواية الفلسطينية

خامساً: الخصائص اللغوية للرواية الفلسطينية

سادساً: الخصائص السردية في الرواية الفلسطينية

ثامناً: الموضوعات والمضامين

تمهيد:

يعدّ الموروث جزءاً أساسياً من كيان كلّ أمة، فهو يحمل قصتها، ويعكس تجاربها، ويحفظ ملامح هويتها التي تميزها عن غيرها من الشعوب، فالأمة التي لا تملك موروثاً ثقافياً متيناً تبدو كأنها بلا جذور أو ذاكرة، ولا يمكنها أن تبني حاضرها أو تطّلع إلى مستقبلها بثقة، إنّ الموروث ليس مجرد بقايا من الماضي، بل هو رصيد حيّ، يسهم في تكوين شخصية الأمة، ويمنحها القوة للاستمرار والتّطور.

فهو الذي يوثق ما عاشته الشعوب من أحداث وأفكار، وهو الذي يمنحها الوعي بتاريخها، ويساعدها على مواجهة التحديات، كما يسهم في تحفيز الإبداع والنّهضة ومن أجل إدراك هذه القيمة الكبيرة للموروث لا بد من التعرّف على معانيه وتحديد مفاهيمه بدقة بدءاً من دلالاته اللغويّة والاصطلاحية وصولاً إلى فهم طبيعته الثقافيّة، وما يندرج تحته من عناصر ماديّة وغير ماديّة ليتسنى لنا فيما بعد تحليل حضوره وأبعاده في الأدب وخاصّة في الرواية .

أولاً: مفهوم الموروث: ألفه:

اهتم العديد من الدارسين بدراسة الموروث وقد تناولت العديد من المعاجم العربية هذا المفهوم في مواضع عديدة، حيث جاء في لسان العرب:

"وَرَثَ: الْوَرِثُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -، وَهُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ، الَّذِي يَرِثُ الْخَلَائِقَ، وَيَبْقَى بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، أَيِ يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ الْكُلِّ".

"أَوْرَثَهُ الشَّيْءُ أَبُوهُ، وَهُمْ وَرَثَةُ فُلَانٍ، وَوَرِثُهُ تَوَرِثِيًّا، أَيِ أَدْخَلَهُ فِي مَالِهِ عَلَى وَرِثَتِهِ وَتَوَارِثَتَاهُ: وَرِثَتُهُ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ قَدَمًا، وَأُورِثَ الْمَيِّتَ وَارِثَهُ مَالَهُ أَيِ تَرَكَهُ لَهُ، وَالتُّرَاثُ: مَا يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ لَوَرِثَتِهِ" (1).

فالموروث بهذه المعاني يدل على كل ما تركه الآباء للأبناء من أموال.

وجاء في معجم الوسيط "وَرِثَ: فَلَانَا الْمَالُ يَرِثُهُ وَرِثًا وَوَرِثًا، وَإِزْنًا، وَرِثَهُ، وَوَارِثُهُ: صَارَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَوَارَثُوا الشَّيْءَ، وَرِثَهُ بَعْضٌ مِنْ بَعْضٍ" (2).

وهنا ارتبط معنى "الموروث" بالمال الذي يورثه الأب لأبنائه بعد وفاته، كما حملت دلالة

الانتقال من جيل إلى جيل.

ولقد جاء في القاموس المحيط:

"تَوَرِثُ النَّارَ" (3). بمعنى تحريكها لتشتغل وتبعث فيها الحياة.

- "وَالْوَرِثُ وَالْمِيرَاثُ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ لِقَوْمٍ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى آخِرِينَ بِنَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ" (1).

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورث) مج2، دار صادر بيروت، دت، دط، ص ص199-201.

(2) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية: مادة (ورث)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص1024.

(3) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الحي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص196.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

-وتختلف دلالة الموروث هنا عن الدلالة السابقة في كون هذا المفهوم لم يحدده في الأموال فقط، بل يُطلق على كل شيء كان ملكاً لقوم ثم صار لقوم آخرين بحكم القرابة، أو بحكم الانتماء إلى منطقة واحدة، ليكون بذلك مجمل ما خلفه السابقون لللاحقين من عادات وأعراف وتقاليد، وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم عدة مرات نذكر منها قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾⁽²⁾، والمقصود بالإرث هنا: "يرث أجداده في العلم والنبوة المراد وراثته الشرع والنبوة"⁽³⁾، وبالتالي لم تقتصر لفظة "الموروث" على الدلالة المادية بل تجاوزتها على الدلالة المعنوية أيضاً.

- "والإرث: بالكسر الميراث والأصل والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول"⁽⁴⁾. والمقصود هنا بالموروث كل ما له صلة بالماضي وكل ما تناقل من جيل إلى آخر.

ومما سبق يمكننا أن نستخلص من هذه التعاريف الموجودة في المعاجم وفي القرآن الكريم على أنّ الموروث هو كل ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة من ماديّات ومعنويّات، أي حصيلة ما خلفه السلف للخلف سواء كان من أشياء ماديّة كالأموال والأراضي الزراعيّة أو أشياء معنوية كالأخلاق والمعارف. وإذا كان معنى مصطلح "الموروث اللغوي" منحصر في جزئيه المادي والمعنوي فإنّ معناه الاصطلاحي واسع أدّى إلى اختلاف وجهات النظر عند الدارسين حول مفهومه.

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، مادة (ورث)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، دط، ج6، ص105.

(2) القرآن الكريم: سورة مريم، الآية06.

(3) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، دت، ط4، 1971، مج2، ص12.

(4) مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (ورث)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت، ج1، ص160.

ب- اصطلاحاً:

يُعدّ مصطلح "المورث" من المصطلحات التي نالت حظّها من الدّراسة لدى العديد من الدّارسين حيث عرفه رمضان الصّبّاغ على أنّه: "ذلك الموروث الثقافي والديني والفكري، والأدبي والفنيّ وكل ما يتصل بالحضارة والثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السّلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم، القصص والحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما يظهر من قيم، وما عبّر عن هذه جميعاً أو تقاليد أو طقوس".⁽¹⁾

يرتكز مفهوم التراث على توضيح السياق الثقافي والمرجعيات المختلفة للمصطلح المتمثلة في: الدين والفكر والأدب والفن، ومركزا في الوقت نفسه على ما توارثناه من السلف سواء كانوا من منطقة واحدة أو من مناطق مختلفة فالتراث إذن هو نوع من التّشارك والتّلاحم. كما يحيلنا على البعد العالمي للتراث الإنساني بما يحتويه من مصنّفات وحكايات وأساطير تشترك فيها الإنسانية ككل، وهنا يتجاوز المفهوم الحدود المكانية والزمانية الضيقة.

ويواصل "الصّبّاغ" تعريفه فيقول: "كما أن تراثنا هو ما ورثنا من كل الأجيال السالفة منذ العصور القديمة في مصر والصين مروراً باليونان والمسيحية والإسلام حتى عصرنا الحاضر، كل هذا يشكل تراثاً حيّاً، بالنسبة لنا قد يكون هذا الجانب أقرب إلى نفوسنا من ذلك أو العكس".⁽²⁾

⁽¹⁾ رمضان الصّبّاغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر ط1، 2002، ص368.

⁽²⁾ المرجع نفسه: ص368.

وهنا يرتبط تعريف التراث، بكل ما هو متصل بالإبداع والمعتقدات وهو بذلك ينقسم إلى: موروث ثقافي وأدبي، وفني، وفكري، وديني، وتاريخي... الخ، محيلا إلى عالمية التراث في بعده الإنساني، حيث دمج جميع الأمم والعصور السابقة وجعلها تنصهر في بوتقة التراث الذي يبقى حيا و نابضا في كل العصور.

كما ارتبط التراث بكل ما له علاقة بـ "حياة أقوام (...)" ولغتهم وأفكارهم وعقيدتهم وممارساتهم الحياتية وانجازاتهم وأعراقهم من عادات وتقاليد تصنع ما نطلق عليه الموروث (...). فالتراث ليس فنيا نحن البشر ليس في أي شيء آخر، ليس في الأحجار والمتاحف، بل تحرك معنا وتفاعل فينا، ونفعله ونقوله (...). ولهذا لا توجد أمة بلا تراث، فما دامت أمة فلها جذورها وحضارتها تنتقل عبر الأجيال المتمثلة لهذه الحضارة وهذا التراث".⁽¹⁾

من خلال هذه التعاريف يمكننا القول أن التراث يشمل عناصر تتمثل أساسا في اللغة والعقيدة والدين والعادات والتقاليد، ولهذا فلا وجود لأمة بلا تراث، وقد ارتبط مفهوم التراث هنا بدلالات مختلفة ومتضاربة أحيانا، حيث لا نجد فرقا بين مصطلحي التراث والموروث، فهو يعطينا المعنى نفسه، والتراث كل ما يتعلق بمظاهر الحياة الإنسانية التي تنتقل من جيل إلى جيل. فيقضي من دائرة التراث كل ما هو جامد كالحجارة والمتاحف، ليؤكد على حقيقة تحركه معنا وتفاعله فينا فترات أي أمة هو بمثابة معيار يحدد عراقتها وأصالتها "فهو جزء من الموروث الثقافي لأدبائنا وفنانينا وجزء من الموروث الحضاري لأمتنا".⁽²⁾

⁽¹⁾ ربيع الصيروت: اللغة والتراث في القصة والرواية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، دت، دط، ص53.

⁽²⁾ فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشرق، القاهرة، دت، ط1، ص35.

وبهذا يتضمن التراث كل ما هو حيّ وناض ومفاعل مع الذات الإنسانية، التي تستلهم من الإرث الثقافي والحضاري، ما يمدها بالحيوية والقوة لمواجهة الواقع.

ارتبط مفهوم الموروث في المؤلفات العربية بدلالات متعددة وتنفق في الكثير من المواقف والتحليلات، ولا يتباين المعنى عن ما هو موجود في المؤلفات الأجنبية، حيث عرفت لفظة إرث أو ميراث Patrimoine بـ"مجموعة الأشياء المتوارثة عن الأب والأم، وهي عبارة عن ملك وإرث جماعي للمجموعة البشرية".⁽¹⁾ فهي كل ما يرتبط بما يتناقله الأجيال من قيم وموروثات مختلفة تسهم في إثبات الهوية وترسيخ الذاكرة الجماعية، لتحقيق الذات والاعتراف بأهمية كل ما يقدمه جيل سابق لجيل آخر بعده.

من خلال المفاهيم السابقة تجدر الإشارة إلى أنّ مفهوم التّراث والموروث واحد فكلاهما يطلق على كل ما يورث من قبل الآباء والأجداد عبر الزمن، أو هو خلاصة ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال الحالية في جميع المجالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية... الخ، وهذا لما تجسّده النصوص الإبداعية والبقايا الأثرية والعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبيّة، التي تختلف من مجتمع إلى آخر، فهي بمثابة بطاقة للهويّة الحضارية للمجتمع الإنساني، ومن هذا المنطلق لا بدّ للشعوب أن تعي تراثها، وتسعى إلى إحيائه وحمايته من الضياع والانتثار والنسيان، خاصّة في ظل تحديّات العولمة والتطور التكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم، على اعتبار أنّ الموروث هو ديوان من صفحات الماضي البعيد والقريب منه دُونَ أو لم يُدوّن وصلنا عبر تسلسل الأزمنة واختلاف الأمكنة.

(1)le petit la rousse illustré ,patrimoine: ensemble des bien herités du père et de mère ,héritage commun d'un collectivité d'un groupe humain Paris,2013, P801.

ثانيا: مفهوم الموروث الثقافي:

اختلفت التعريفات حول هذا المفهوم حول هذا المفهوم نظرا لأهميته وارتباطه بالمقولات السردية الحديثة والمعاصرة، لذلك يمكن القول بأن الموروث الثقافي هو كل ما تنتجه المجتمعات البشرية "المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب"⁽¹⁾.

أي أنّ الموروث الثقافي هو كل ما تركه لنا الأجداد من أفكار، وعادات وتجارب، وأشياء مادية، وهو يعدُّ نتاجا لتراكم خبراتهم الفكرية والاجتماعية والمادية عبر الزمن، ويشمل هذا الموروث ما وصل إلينا عن طريق الكتابة أو تناقله الناس شفويا مثل القصص والأمثال الشعبية وهو لا يضمّ ما هو رسمي فقط بل يضم أيضا ما هو شعبي وبسيط، نابع من الحياة اليومية للناس، ويتنوع بين ما هو لغوي كاللهجات والأمثال وما هو غير لغوي كالفنون، الملابس، كما أنّ التراث من الماضي البعيد والقريب، ممّا يجعله ركيزة أساسية لهويتنا الثقافية والاجتماعية، وجسرا يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ثالثا: أنواع الموروث الثقافي:

يُعتبر الموروث الثقافي كنز الأمة، به تفرض وجودها وتثبت ذاتها وخصوصيتها وتحقق طموحاتها، لذلك فإن أغلب الأمم والشعوب سعت دوما للحفاظ عليه والتشبث به، ومحاولة إحيائه، وبعثه من جديد فهو يمثل جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية، لذا فإن فقدان أي من عناصره، يُعدُّ فقدان جزء من هذه الهوية وخسارة قيم متميزة لا تقدر بقيمة.

⁽¹⁾محمد رياض وطّار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، دط، 2002، ص21.

وقد اختلفت تسميات أنواع الموروث الثقافي من باحث إلى آخر فمنه من قسمه إلى مادي واللامادي ومنه من يقسمه إلى منقول وغير منقول، وانطلاقاً من هذا التصور المفاهيمي يمكننا تقسيمه إلى قسمين موروث مادي وموروث لامادي.

1.3- الموروث المادي:

يعدّ الموروث المادي أحد المكونات الأساسية للتراث الثقافي الإنساني، ويشمل جميع المنجزات الملموسة التي أبدعها الإنسان عبر العصور، والتي تعكس تاريخه، وطرائق عيشه وأنماط تفكيره، ومدى تطوره الحضاري، ويندرج ضمن هذا النوع من التراث كل ما يمكن لمسه ورؤيته إذ يصدر عن السلوكات والنشاطات البشرية التي خلفت آثاراً مادية محسوسة ظلت باقية كشاهد على حضارات مضت.

ويتضمن الموروث المادي المباني والمنشآت التي أنشأها الإنسان لأغراض دينية، أو اجتماعية أو حربية أو مدنية مثل: المعابد، المساجد، الكنائس، المقابر، الجوامع، القلاع، الحصون، الأبراج والسدود، وغيرها من المرافق التي تجسّد تفاعل الإنسان مع المكان والزمان وتعرف هذه المكونات في لغة الآثار "الآثار الثابتة" نظراً لثباتها في مواقعها وقابليتها للنقل بسهولة. ولا يقتصر الموروث المادي على الأبنية والمنشآت، بل يشمل أيضاً الأدوات والمصنوعات التي استخدمها الإنسان في حياته اليومية وتتمثل في: "القطع المنقولة والتحف الفنية الناتجة عن الاستكشافات، والأبحاث الأثرية في البرّ وتحت الماء، ومنها القطع الخزفية والفخارية والكتابات الأثرية والعملات والأختام والحلي والألبسة التقليدية، والأسلحة وبقايا المدافن والمخطوطات ووثائق الأرشيف"⁽¹⁾، هذا يعني أنّ الموروث المادي يجسّد ملامح الحياة القديمة من خلال ما

(1) عبد الكريم عزوق: التراث الأثري مفهومه، أنواعه، أهميته، حمايته واستغلاله كنورة اقتصادية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، دت، دط، ص 3.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

تركته الشعوب من أدوات وتحف وألبسة وكتابات، جُمعت عبر الاكتشافات الأثرية وكلها تمثل ذاكرة حسية تنقل تفاصيل دقيقة عن الحياة اليومية، والعقائد، والأنظمة الاجتماعية والسياسية التي سادت في الماضي كما تعكس هذه المهارات الحرفية والفنية التي ازدهرت في أزمنة مختلفة.

2.3-الموروث اللامادي:

ارتبط الموروث اللامادي بكل ما يرتبط باللموس أو المادي الذي يحمل صفة التواجد الواقعي باعتباره فضاء أو أداة تحمل معالم الارتباط بالهوية المجتمعية والثقافية والإنسانية في أرقى تجلياتها، لذلك عرفته منظمة اليونسكو وحسب اتفاقيتها الصادرة في باريس 17 أكتوبر 2003 حول حماية التراث الثقافي غير المادي، بأنه: " ذلك التراث الذي يتجلى في كافة المظاهر الغير مادية وغير ملموسة التي تشمل الممارسات والتصوّرات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والأفراد جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبذعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية، ويتجلى التراث الثقافي غير المادي بصفة خاصة حسب هذه الاتفاقية في المجالات التالية:

*التقاليد وأشكال التعبير الشفهي بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي اللامادي.
*فنون وتقاليد أداء العروض.

*المعارف والممارسات المتعلقة بالكون والطبيعة.

*الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

*المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية" (1).

لذلك يمكن القول أن نص الاتفاقية يتناول اتفاقية صادرة عن منظمة اليونسكو بتاريخ 17 أكتوبر 2003، والتي تهدف إلى حماية وصون التراث الثقافي غير المادي، ويقصد بهذا النوع من التراث كافة الممارسات والتقاليد والمعارف والمهارات التي تنتقل من جيل إلى آخر داخل المجتمعات، والتي تعبّر عن هويتها الثقافية، يشمل هذا التراث الشفهي، وفنون الداء، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، والمعارف المرتبطة بالطبيعة، وكذلك المهارات الحرفية التقليدية، وتؤكد الاتفاقية على أهمية التراث في تعزيز التنوع الثقافي، وتشدّد على ضرورة احترامه وتقديره كونه يمثل جزءاً حياً من ثقافة الشعوب ووسيلة للتفاهم والتواصل بينها.

يتجلى الموروث اللامادي في : "كافة المظاهر غير مادية وغير الملموسة لمختلف تشكّلات وتنوعات التراث الإنساني باعتباره الثقافي الملموس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية" (2)، ومن خلال هذا القول تجلّت هذه المظاهر في:

(1) اتفاقية بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، 17 أكتوبر 2003، <https://ich.unesco.org/doc/src/01852-AR.pdf>، يوم 20 ماي 2025، الساعة: 14:00.

(2) طلال معلّ: التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، مجلة الأوراق، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، دمشق، سوريا، العدد 4، 2017، ص 02.

-الفنون القوليّة: وتشمل جميع أشكال التعبير الشفوي مثل: الأغاني الشعبيّة، القصص، الأمثال، الألغاز، والشعر الشعبي...إلخ

-الفنون الحركية: كالرقص، والألعاب الشعبية كالفروسية... إلخ.

-المعارف والمعتقدات: وتضمّ المعتقدات حول قوى الطّبيعة، المعتقدات الدينية الشعبيّة، المعتقدات بالجنّ والأرواح...إلخ.

-العادات والتّقاليد: والتي تتمثّل في طرق الاحتفال والطقوس التي تمارس في المناسبات.

وما يميّز الموروث اللامادّي صفة: "الحيويّة التي تجعله قادرا على الاستمرار والحياة

ككائن حيّ يتكيف باستمرار مع تطوّر المجتمعات والبيئة والمحيط ليمضي في وجوده رغم

هشاشته"⁽¹⁾، فالموروث اللامادّي على الرغم من أنّه غير ملموس أو مادّي فهو يمتلك طاقة

داخليّة تجعله كائنا حيّا، يتغيّر ويتجدّد دون أن يفقد جوهره، ممّا يمنحه الاستمراريّة والفعاليّة في

تشكيل الهويّة الثقافيّة للأفراد والمجتمعات.

كما قسمه "محمد الجوهري" إلى 4 أقسام نذكرها فيما يلي:

"أ-المعتقدات والمعارف الشعبيّة: هي المعتقدات التي تهتم بالبحث عن تصورات الناس في بعض

الظواهر الطبيعيّة والنفسيّة ومن أهمّ المواضيع التي تناولتها نجد: السحر، الروح والنظرة إلى العالم

وغيرها.

ب-العادات والتقاليد الاجتماعيّة: تساهم في معرفة جميع اهتمامات الإنسان في مظهر حياته

الاجتماعية وتشتمل على مجموعة من العادات منها:

(1) المرجع السابق: ص 07.

-دورة الحياة منذ الميلاد.

-الأعياد والمناسبات: مثل الأعياد الدينية، رأس السنة الهجرية، عاشورا، مولد النبي.

ج-الأدب الشعبي: ونجده في السّير، الأسطورة، الخرافة، الحكاية، الغاني المرتبطة بدورة الحياة كأغاني الميلاد، الختان، الزواج.

د-الثقافة الماديّة والفنون الشعبية: وتتمثل في التقنيات والمهارات التي انتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت، صناعة الملابس، إعداد الطّعام، أما الفنون الشعبية فتشتمل على الموسيقى الشعبية وآلاتها والرقص الشعبي، والألعاب الشعبية والفنون الحرفية مثل: الأشغال اليدوية كالنسيج وصناعة الفخار⁽¹⁾.

يصنّف "محمد الجوهري" الثقافة الشعبية إلى أربعة مجالات رئيسيّة: المعتقدات، العادات الاجتماعية، السرد الشعبي، الفنون والحرف التقليدية موضّحا أن هذه العناصر تعكس رؤية المجتمع للعالم وتسهم في تشكيل هويته الثقافية.

إذن يعد الموروث الثقافي اللامادي من أهم مقومات الهوية الثقافية، إذ يجسد المعتقدات والعادات والتقاليد والمعارف المتناقلة شفها بين الأجيال، فهو مرآة تعكس وجدان المجتمع وطرق تعبيره عن ذاته وتاريخه، لذا فإنّ الحفاظ على هذا التراث وتوثيقه يمثل خطوة أساسية في صون الذاكرة الجماعية وتعزيز التنوع الثقافي بين الشعوب.

(1)فاروق أحمد مصطفى: الاثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية)، 2008، دط، ص ص 20-

رابعاً: نشأة وتطور الرواية الفلسطينية:

تعتبر الرواية الفلسطينية من أكثر الأجناس الأدبية احتواءً على التجارب الذاتية، وذلك لارتباطها بالواقع وسردها لواقع شعبها المنكوب فقد حملت مسؤولية رصد وتوثيق الواقع الفلسطيني بكلّ أزماته، إضافة إلى سرد قصص الاضطهاد الصهيوني بطريقة جمالية ملتزمة بقضية الوطن، فالرواية الفلسطينية جاءت لتعبر عن صرخة أم ووجع طفل وعجز رجل وأمل شعبها المنكوب.

البدایات:

أقبل النكبة:

حملت الرواية الفلسطينية في نشأتها الطابع التوثيقي متأثرة بالتجارب الغربية والعربية السابقة فكانت بدايتها مماثلة لبدايات الرواية العربية، وذلك بسبب تشابه الظروف والأوضاع في العالم العربي، حيث كانت الغاية من الكتابة والتوثيق في ذلك الوقت اصطلاحية هادفة لتحسين الواقع العربي عامّة والفلسطيني خاصّة، فكانت الرواية في تلك الحقبة عبارة عن ترجمات لروائيون غربيون، "لقد وضعت هذه الرواية بفعل احتكاك كاتبها بالثقافة الأوروبية وإطلاعه على آدابها وتأثره بها مع محاولته المساس بواقعه والإجابة عن أسئلته بحث يمكن القول أنّ هذه الرواية

التي وضعت اللبنة الأولى في الرواية العربية هي من تأثيرات الثقافة الأوروبية، في شكلها على الأقل".⁽¹⁾

ويقصد بها أنّ الكاتب احتك بالثقافة الأوروبية أي تفاعل معها وتأثر بها وأنّ الرواية العربية وُلدت من رحم التأثير بالثقافة الأوروبية نتيجة احتكاك الكاتب المباشر بهذه الثقافة وإطلاعه الواسع على مناهجها وأساليبها. وعليه يمكن القول أن بدايات الرواية الفلسطينية لم تكن سوى اجتهادات طفيفة وتراجم لروايات غربية بغية مواكبة العالم الغربي في ثقافته الأدبية مع التنقيح واختيار ما يلائم الثقافة العربية.

ب- بعد النكبة:

شكلت النكبة منعرجا حاسما في تاريخ الرواية الفلسطينية، حيث أنها ساهمت في نقلها من كونها رواية ذات طابع قصصي بسيط إلى رواية تتمتع بنضج فكري ذات بعد وطني وديني بمعنى أنّ الرواية انتقلت من مجرد سرد بسيط للأحداث ومعالجة وقائع يمكن القول عنها أنّها عادية مقارنة بما يحدث فيها إلى عمل أدبي من رحم المعاناة متشعب بالقضايا الوطنية مجسدا الوعي الفلسطيني، فساهمت النكبة في إحياء الأدب وتحريره من القيود التي تكبله ليتمكن من أداء دوره الحقيقي في تصوير الواقع الإنساني فالأدب هو مرآة تنقل مشاعر الإنسان وتجاربه المتنوعة. وتميزت هذه المرحلة بـ:

*توثيق النكبة.

*تجسيد معاناة الشعب الفلسطيني (التهجير).

(1) فاروق وادي: ثلاثة علامات في الرواية الفلسطينية: غسان كنفاني، إميلي حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص15.

* حلت الطابع الواقعي وتصوير الحقائق دون تزييف.

وأبرز ممثلي هذه المرحلة نجد: غسان كنفاني في رواية رجال في الشمس وفقا لما تعيشه فلسطين من ويلات الحرب والمعاناة المتعددة من تهجير وتشريد قتل طمس الهوية والمعتقدات، ولذلك اتجهت الرواية الفلسطينية بعد النكبة إلى معالجة وتصوير الواقع، حيث أنها أصبحت سلاحا وأداة للتضال وفضح الكيان الغاشم، كما شكّلت أبعادا سياسية وإيديولوجية مختلفة ومتباينة في الطرح، وغلب على مضامينها المعجم السياسي المقاوم والمكافح: الفداء، والعمل المسلح، والمقاومة، وتحرير الأرض، والمواجهة، والاستبسال... الخ.

كما أنّها تطورت بعد ذلك فشملت مواضيع حساسة في المجتمع ومن بينها قضايا المرأة والعلاقات الأسرية والاجتماعية، حيث أنها كانت ولا زالت تعكس التمزق والاضطراب النفسي الذي يمر به الفرد الفلسطيني، والذي ينم عن كثلة من الصدمات والأزمات النفسية.

خامسا: الخصائص اللغوية للرواية الفلسطينية:

تعدّ الرواية الفلسطينية واحدة من أبرز الأجناس الأدبية التي جسّدت معاناة الإنسان الفلسطيني وتاريخه وهويته، ولا تقتصر أهميتها على بعدها السياسي أو الاجتماعي، بل تتجلى أيضا في عمقها اللغوي وأسلوبها الفني الصارخ، فقد شكّلت اللغة في الرواية الفلسطينية أداة تعبير ومقاومة، ووسيلة لصيانة الوعي الجمعي، ومجالا لتجريب الأساليب والتقنيات التي تتماشى مع خصوصية السياق الفلسطيني، ومن خلال تنوع الأساليب السردية، وتعدّد مستويات الخطاب، وثرأ المعجم المستخدم، استطاع الروائي الفلسطيني أن يبني عالما لغويا خاصا يتداخل فيه الواقع

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

مع الرمز، واللغة اليومية مع اللغة الفصيحة والمفعمة بالشعرية والذوق الفني، حيث تعرف على أنّها "وسيلة استنباط واستكشاف جديد، بل هي تيار تحويلات والكلمة فيها أعمق من حروفها، وتحدّ أصواتها وجملها الشعرية"⁽¹⁾.

ولذلك ترتبط اللغة الشعرية بأهداف متعددة، وأبرزها تحويل الصيغ العادية المباشرة والسطحية إلى دلالات مختلفة تنحو إلى التكثيف الدلالي والإيحاء، لاستكشاف الدلالات العميقة، فتتجاوز دلالتها العادية ذلك أنّ العنصر الأساسي للغة الشعرية في الروايات الفلسطينية يميل دائما إلى الانزياح، فتتجاوز السطح إلى العمق الدلالي، وهنا تكمن خصوصية الكتابة الإبداعية، حيث يستخدم المتكلم في حديثه العادي صيغ متعارف عليها، في حين الكاتب الفذّ يعمد إلى مفاجأة المتلقي من خلال إشباع نّصه بدلالات جديدة تنبع من تكامل بين النص الإبداعي ورؤى ودلالات يفرضها المتلقي.

ومن الخصائص اللغوية التي امتازت بها الرواية الفلسطينية توظيفها للغة العامية التي تمثل وسيلة فنية وتعبيرية، تُسهّم في نقل إيقاع الحياة اليومية والموروث الشعبي، والعادات والتقاليد، بل وتبرز الفوارق الطبقيّة، والمنطقية أحيانا بين نماذج الشخصيات (اللاجئ، والفلاح، والمثقف، والمقاوم، وابن المخيم...الخ)، فهي تُكسب الحوار طابعا طبيعيا غير مصطنع، كما أنّ العامية تحمل النص بعقب محلي يعكس البيئة اللغوية لفلسطين ولهجاتها المختلفة، ممّا يساعد في الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية في وجه محاولات الطمس والتدوين.

كما وظفت الرواية الفلسطينية اللغة الرمزية كوسيلة فنية ووجدانية للتعبير عن قضايا الوطن والهوية، واللجوء، وذلك بأسلوب غير مباشر يحتكم إلى ذات مبدعة مقاومة تحاول فضح

⁽¹⁾ بشير تاويريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، دار إريد، الأردن، ط1، 2010، ص463.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

وتجريم الواقع المعاش، حيث يستخدم الروائي الفلسطيني رموزا تحيل إلى الخصوصية الهوياتية والثقافية للمجتمع الفلسطيني مثل المفتاح للدلالة على حق العودة، والزيتونة للصدود، والبيت كوطن مسلوب، والبحر كرمز للفقد أو الأمل، في محاولة لتكثيف المعنى والتعبير عن التجربة الجمعية تحت الاحتلال وتُضفي هذه الرموز عمقا دلاليا وجماليا مع الحفاظ على الطابع الوطني للمضمون الروائي.

وتبرز اللغة البلاغية دورا كبيرا من خلال استخدام الصور البيانية، والتشبيهات، والاستعارات مما يمنح النص طابعا حادا يعكس المعاناة والأمل معًا، كما تلجأ الروايات الفلسطينية إلى التناص مع القرآن الكريم، والشعر العربي، والأساطير مما أكسب النص طابعا ثقافيا وتراثيا عميقا ينم عن البعد الحضاري والهوياتي للنص، وتظهر كذلك ميلا إلى التكرار والتوكيد باستخدام أدوات لغوية مثل "لن ننسى" و"سوف نعود" مما يعكس إصرار الفلسطينيين على مقاومة النسيان ورفض الذوبان في هوية الكيان الصهيوني، كما أن التحولات الأسلوبية وتعدد ضمائر السرد تتيح تنوعا في الرؤية الفنية، وهو ما يمنح اللغة سرديّة قادرة على التعبير عن الأنا الجمعية والفردية في آن واحد. وبهذه الخصائص تشكّل اللغة في الرواية الفلسطينية أداة مقاومة وجسرا للبوّاح والتوثيق والحلم.

سادسا: الخصائص السردية في الرواية الفلسطينية:

1- الزمن: وظّف الروائيين الفلسطينيون الزمن في رواياتهم وربطوا الماضي بالحاضر لأن الأمة التي لا تملك ماضي لا حاضر لها. فحياة الإنسان التي يعيشها هي مرحلة أو رحلة طويلة تتجسّد

في مراحل ودورات متعاقبة تبدأ منذ ولادته، وتمتد حتى وفاته، وكل مرحلة تمثل حلقة في دورة الحياة، وهذه السلسلة يجب أن تمرّ على الفصول والأشهر.

كما لجأ الروائي الفلسطيني إلى تقنية الاستباق والاسترجاع، أي الرجوع إلى الماضي بمعنى الاسترجاع، "فلاسترجاع الماضي (Flash Back)، سواء أكان كشفاً أولياً أو مدخلاً أو موزّعاً، من الأدوات الكثيرة الاستعمال، وفي هذه الحقيقة فإن إدخال مقاطع مسترجعة من الماضي كما استعمله هوميروس وفرجيل كان يعتبر في رواية الحلقات المبكرة من الأدوات"⁽¹⁾.

وهي تقنية يستخدمها الروائيون المعاصرون للعودة إلى أحداث وقعت في الماضي أثناء سرد أحداث الرواية، وهذا الأسلوب قد يستخدم في عدّة صور مثل أن يظهر الكاتب حدثاً من الماضي ليفسر شيئاً مهماً في الحاضر. وقد قسّم الاسترجاع إلى نوعين، استرجاع خارجي، أي أن الروائي يبدأ بسرد أحداث وقعت قبل البدء في الرواية، حيث يتحدث عن الظروف التي عاشتها الشخصيات قبل وقوع الحدث الرئيسي وما هي الأحداث التي أثرت على تشكيل شخصياتها وأفكاره، أما الاسترجاع الداخلي فيقصد به أن يعود إلى أحداث وقعت ضمن زمن الرواية مثل الحديث عن الطفولة في الرواية.

ارتبطت الرواية الفلسطينية في تعاملها مع الزمن السردي على استرجاع الماضين خلال ربطه بالحاضر التي تعد من أبرز الخصائص الفنية التي تعكس التمسك بالهوية وعرض قوة ومصداقية وخصوصية التجربة التاريخية للشعب الفلسطيني. فالماضي مرتبط بالحاضر. والتنبؤ بالمستقبل مثل: الحديث عن أشياء قد تحدث كالحرية والعيش بسلام، وتحرير القدس، وكلها قيم مرتبطة بنشيدان مستقبل متغير، يحمل في طياته معاني الأمل والحرية والانعتاق.

⁽¹⁾ بكر عباس: الزمن والرواية، دار النشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1997، ص 67.

2-المكان:ارتبطت الرواية الفلسطينية بتصوير الأماكن، وذكرها وفق أساليب وأنماط تعبيرية تصف المكان بما يحمله من نعاير توحى بالجمال أو القبح، والقيد أو الحرية، والدمار أو إعادة الإعمار...الخ، ذلك أن: " تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، بمعنى يُوهم بواقعتها...، وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معيّن، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التّأطير المكاني"⁽¹⁾.ولذلك فالمكان عنصرا أساسيا في

بناء عالم سردي يُضفي على الأحداث طابعا من الواقعية، ممّا يجعلها تبدو ممكنة الحدوث في أعين القارئ ومن خلاله يتمكن القارئ من التفاعل مع الأحداث والشخصيات بشكل أعمق ممّا يعزّز من تأثير الرواية ويجعلها أكثر إقناعا.

عمل الروائي الفلسطيني على ترسيخ وتجسيد المكان الفلسطيني في ذهن القارئ بما يحمله من معاني الموت والهدم وبقايا صور لأحياء دمرت، أي أنّهم لم يكتبوا فقط عن أحداث وشخصيات، بل ركزوا على تصوير الأرض، والقرى، والمدن الفلسطينية بجغرافيتها وتفصيلها، كجزء أساسي من الهوية، فاستخدم لذلك وسائل متعددة مثل: الوصف الدقيق للمكان، واستحضار الرموز التراثية، خاصة بعدما أدركوا أن الاحتلال الصهيوني بدأ في تزييف الحقائق محاولا امتلاك الأراضي الفلسطينية وتهويدها، حتى أنهم قاموا بتغيير أسماء الأماكن ونسبها إليهم. خاصة بعد النكبة.

⁽¹⁾حميد لحميداني: بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص65.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

ومن أبرز الأماكن أو المدن التي أخذت حصة الأسد ضمن المتن السردي الفلسطيني، نجد مدينة القدس باعتبارها رمز دين، وتاريخ، إضافة إلى حيفا، مكان للتهجير والنكبة، ويافا وغيرها من المدن. فالمكان في الرواية هو رمز للألم، والمعاناة والصمود، والنضال من أجل الحرية.

3- البنية السردية للشخصيات: تعدّ الشخصيات في النص الروائي أحد الركائز الأساسية نظراً للدور الذي تقدمه في الرواية فقد ورد في لسان العرب بمعنى:

"الشَّخْصُ: جماعة شَخْصِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، مَذْكَرٌ وَالْجَمْعُ أَشْخَاصٌ، وَشُخُوصٌ وَشَخَاصٌ (...)
وَشَخْصٌ سِوَاءِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ بَعِيدٍ وَتَقُولُ ثَلَاثَةٌ أَشْخَاصٌ وَكُلُّ شَخْصٍ رَأَيْتَ جِسْمَانَهُ فَقَدْ رَأَيْتُ شَخْصَهُ".⁽¹⁾

تختلف الشخصية في الرواية حسب الدور الذي يعطيه الروائي لتلك الشخصية، ففي الشخصيات الرئيسية: يسلط الروائي الضوء على البطل ويكون ظهوره في الرواية أكثر بروزاً، وبذلك يمثل الحلقة التي تتشكل منها السلسلة، أو العصب الرئيسي للعمل الروائي.

ويجعل من البطل يمرُّ بمراحل وأزمات مختلفة لتنتهي في الأخير إما بخروجه بطلا منتصراً، أو بموته لكن يبقى التاريخ يتحدث عن شجاعته وقوته، بين الأجيال مما يساهم في تخليده.

أمّا الشخصية الثانوية فهي أقل ظهوراً من الشخصية الرئيسية، لكن هذا لا يعني أننا يمكن الاستغناء عنها، فالشخصية الثانوية هي التي تساهم في تطوّر الأحداث فتكون إما شخصية مساعدة للشخصية الرئيسية، حيث تعمل على تقديم المساعدات للبطل أو تكون السبب في عرقلته.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، ص 2211.

سابعاً: الموضوعات والمضامين:

تعددت وتنوعت موضوعات الرواية العربية عامة والرواية الفلسطينية خاصة، وبالأخص الرواية الفلسطينية لارتباطها العميق بالقضية الفلسطينية والتجربة الوطنية والإنسانية، نتيجة ما عاناه الشعب من طرف الاحتلال، ومن أبرز الموضوعات نجد:

1-النكبة واللجوء: وهما من أبرز الموضوعات التي اهتمّ بها الروائي الفلسطيني، وتعتبر من أبرز المحطات المأساوية في تاريخ القضية الفلسطينية معبراً عن معاناة الشعب الفلسطيني فالنكبة تعني "الكارثة"، وهي مصطلح يستخدمه الفلسطينيون لوصف ما حدث سنة 1948م. ومن بين هذه المعاناة "استولى الصهاينة على نحو 77% من أرض فلسطين (20.770 كلم²) وشردوا بالقوة 800 ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها كيانهم"⁽¹⁾. وهذا يدل على أن الاحتلال الصهيوني قد احتل نسبة كبيرة من الأراضي الفلسطينية سنة 1948. كما قاموا بتشريد الشعب الفلسطيني وإجبارهم على ترك أرضهم بالإضافة إلى "تدمير الصهاينة 478 قرية فلسطينية من أصل 585 قرية كانت قائمة في المنطقة المحتلة وارتكبوا عشرات المجازر"⁽²⁾. والهدف من هذه المجازر كانت من أجل إنجاح خطة الصهاينة المعروفة باسم خطة "دالت"، التي تهدف إلى

⁽¹⁾ محسن محمد صالح: حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية (الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية)، بيروت، لبنان، طبعة مزيدة ومنقحة ومصورة، نوفمبر 2020، ربيع الأول 1442هـ، ص 15.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 15.

السيطرة على أكبر عدد من الأراضي بالإضافة إلى وجود العديد من المقابر الجماعية التي تم اكتشافها.

كما أنه: "بعد نكبة 1948م سجلّ تاريخ اللاجئين الفلسطينيين سلسلة هجرات من الضفة الغربية وقطاع غزة بحثا عن لقمة العيش فشهدت الخمسينات والستينات حركة هجرة إلى الأردن.... اضطر نحو 330 ألف فلسطيني للهجرة من الضفة والقطاع إلى الأردن ومصر"⁽¹⁾. وهذه حقائق تبين المعاناة والظلم التي تعرض لها الشعب الفلسطيني من طرف الاحتلال، مما دفع به إلى الهجرة تاركا أرضه ووطنه من أجل العيش بأمان وحفاظا منه على حياته.

ومن بين الروائيين الذين تحدثوا عن النكبة وعن جرائم مارسها الاحتلال في حق الشعب الفلسطيني، نجد غسان كنفاني في رواية "رجال الشمس"، حيث يصف تأثيرات النكبة على الشعب الفلسطيني وكيفية محاولة الفلسطينيين العبور إلى الحدود بحثا عن عمل وحياة أفضل. كذلك نجد الروائي "جبرا إبراهيم جبرا" في رواية "العودة إلى المنفى" واصفا معاناة الشعب الفلسطيني.

2- المرأة: تحتل المرأة الفلسطينية مكانة مميزة في الرواية الفلسطينية وذلك للدور التي تقوم به سواء من ناحية الأمومة، أو الزوجة، أو المرأة المناضلة في وجه الاحتلال. "ومن هذا المنطلق لم يختلف الأمر كثيرا بين "غسان كنفاني واميلى جيبى وجبرا ابراهيم" في تناولهم لشخصية المرأة، إذ استندت نظراتهم إلى المرأة على أساس أنها شخصية فوق درجة الواقع، بمعنى أنها مثلت على الأغلب رمزا يتجاوز سياقه الإنساني الواقعي، فكانت عند كنفاني الأم الرمز للوطن. وعند جيبى الحبيبة الرمز للأرض. وعند جبرا الأنتى لمثابة الجسد المبكر للجنس"⁽²⁾.

(1) محمد صالح: معاناة اللاجئين الفلسطينيين، دار النشر بيروت، لبنان، ط1، 1431-2010هـ، ص27.

(2) حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، صص8-9.

فقد تحدث الروائيين الفلسطينيين في رواياتهم عن شخصية المرأة واختلاف أدوارها فمنهم من ينظر إليها بدور الأم، أو الحبيبة، أو الأرض، فالمرأة العربية والفلسطينية مهما اختلفت أدوارها تبقى تلك الأم المثابرة والصابرة على تحمل المتاعب والمشقة في سبيل الحفاظ على عائلتها، متمسكة بالهوية والتراث الفلسطيني والعربي.

يتحدث الروائي غسان كنفاني في روايته "أم سعد" فيقول: "أم سعد المرأة التي عاشت مع أهلي في "الغبسية" سنوات لا يحصيها العدّ، والتي عاش. بعد في مخيمات التمزق سنوات لا قبل لاحد يحملها على كتفيه، ما تزال تأتي لدارنا كل يوم ثلاثاء، تنظر إلى الأشياء شاعرة حتى أعماقها بحصتها فيها، تنظر إليّ كما لابنها، تفتح أمام أذني قصة تعاستها وقصة تعاستها وقصة فرحها وقصة تعبها ولكنها أبدا لا تشكو"⁽¹⁾. وهنا تتبين صرامة ومثابرة المرأة الفلسطينية، وحالات التعاسة والشقاء التي عانتها أم سعد، فعلى الرغم من التعاسة والحزن والتعب، فإنها لا تشكو أو تمل وهذا يدل على قوة المرأة الفلسطينية، وصبرها وتحملها رغم ما تتحمله من مسؤوليات تفوق طاقتها في ظل الحرب والدمار الذي يحيط بها، ويهدد كينونتها الذاتية والجماعية.

كذلك نجد سحر خليفة تتحدث في رواياتها "الصبار" و "أصل اليهود" عن دور المرأة في القضية الفلسطينية، وكيفية مقاومتها للاحتلال وتحمل ظروف الحياة الصعبة من أجل البقاء، والتمسك بالأرض، والحفاظ على دورها دون التنصل من مسؤولياتها، أو حتى الضعف أمام ما تعيشه من صراعات.

3- العملاء أو الجوسسة: اهتمت الرواية الفلسطينية بقضية العملاء والتي تعتبر من أهم الموضوعات الذي تناولها الرواة وأطلقوا عليه تسمية العملاء أو الجوسسة؛ بمعنى ذلك الشخص الذي يقوم بخدمة ومجارة العدو على حساب مصالح وطنه؛ فيقوم بتقديم معلومات سواء عن

⁽¹⁾ غسان كنفاني: رواية أم سعد، دار الجمل للنشر والتوزيع، تاريخ الإصدار 01 يناير 2017، بيروت، ط1، 1969، ص7.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

أماكن الثوار أو تحركاتهم وأسرارهم ومخططاتهم النضالية في مواجهة العدو. كما يطلق عليه أيضا بالخائن للوطن.

"وللجواسيس تصنيفات معروفة، فإمّا أن يكون الجاسوس ابن البلد ويقوم بالتجسس لصالح دول خارجية مقابل مبالغ مالية يتم الاتفاق عليها- وإمّا أن يكون عميلًا أجنبيًا تتم زراعته في الدولة المستهدفة"⁽¹⁾. ولذلك يصنّف الروائيون الجواسيس وفقا لعدة معايير أبرزها الدوافع، والانتماء والمهام التي يؤدّيها، فهناك الجاسوس الوطني "ابن البلد"؛ وهو من أخطر أنواع الجواسيس، الذي يقوم بإرسال معلومات عن الوطن مقابل مبلغ مالي، وهناك العميل الأجنبي؛ الذي يبعث عمدا من قبل جهاز الاستخبارات الذي يسعى إلى جمع معلومات سرّية أو تنفيذ عمليات سياسية أو عسكرية. فالجواسيس لجئوا إلى هذه المهنة نتيجة ظروف معينة سواء كانت مرتبطة ببيئته الأسرية، أو الضغوطات المزمنة مثل العيش في بيئة متوترة، أو مواجهة مشكلات، أو بسبب التوتر الناتج عن تراكم المسؤوليات. كما يرجع سبب الجوسسة إلى استعمال الاحتلال لعدة وسائل سواء كانت بالابتزاز، أو استعمال أسلوب الإقناع والإغراء. وتختلف حسب شخصية الجاسوس، وعلى الرغم من وجود جواسيس تساعد الاحتلال الصهيوني في الإفشاء بمعلومات وأماكن المناضلين، إلا أن فلسطين لا تخلوا من وجود رجال حُلقوا من جديد، في أرض فلسطين الحرّة يناضلون، ويضحون بآخر قطرة دم لهم، من أجل تحريرها والعيش في أمان وسلام.

4-العودة إلى الوطن: أسفرت نكبة عام 1948 التي حلت على الشعب الفلسطيني بتهجيرهم، وإخراجه من أرضه سواء بالقوة أو بإرادته خوفا عن حياته وحياة أطفاله، فاضطر إلى ترك أرضه

(1) عصام عبد الفتاح: صناعة الجواسيس !!، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، القاهرة، ط1، 1428هـ / 2007م، ص15.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

وداره ووطنه، والبحث عن المكان الآمن من أجل المحافظة على حياته، فلجأ إلى الهجرة خارج الوطن والذهاب إلى البلدان التي ينعم فيها بالأمن والسلام، لكنه ظل حالماً و متمسكاً بالعودة إليها؛ إلى ذلك البلد الملاذ الأول والأخير، لأن فلسطين تبقى الأم والمركز والأمان بالنسبة له، فيكفي فخراً أن عاصمتها القدس موطن الأنبياء عليهم السلام ومحج المسلمين من كل أقطار العالم.

تحدث الأدباء والشعراء عن هذه القضية في أعمالهم واختلفت آراؤهم في العودة إلى الوطن، فمنهم من يرى أنه مجرد حلم جميل لا يمكن تحقيقه لأن الاحتلال مازال موجوداً، ومنهم من يرى أن العودة حق مشروع لا يمكن التنازل عنه مهما كانت الظروف. وشمّ ترابه ورائحته الزكية التي لا يمكن أن يعوضها وطن آخر، ومن بين الذين كتبوا عن العودة إلى الوطن نجد محمود درويش في قصيدته "أحنّ إلى خبز أمي" فيقول:

أحنّ إلى خبز أمي

وقهوة أمي ولمسة أمي

وتكبر في الطفولة

يوماً على صدر يوم

وأعشق عمري لأنني

إذا مت أخجل من دمع أمي" (1).

(1) محمود درويش: عاشق من فلسطين، دار النشر، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1996، ص16.

يعبّر محمود درويش عن حنينه وحبّه واشتياقه لأمّه وبلده وأن ذكرياته تكبر معه كلما كبر، وأنه يخجل من دمع أمه لو مات وأنّه لا يريد أن يسبّب لها ألماً بعد فراقه، ويحنّ ويشتاق إلى وطن الأم فلسطين، فيرمز لفلسطين بالأم كدلالة على الرابطة القوية التي تربطه بوطنه فلسطين.

كما نجد رواية "عائد إ لي حيفا" للروائي "غسان كنفاني"، حيث تدور أحداثها حول زوجين يعودان إلى حيفا بعد عشرين عاماً، حين اضطروا إلى مغادرة وطنهم في نكبة 1948 مخلفين ورائهم طفلهم الضائع، ليعود بعد عشرين عاماً أملاً في لقاءه. ليجدوه شاباً وجندياً في صفوف الجيش الصهيوني، فأصبح مواطن صهيونياً تبنته عائلة صهيونية عندما كان طفلاً.

وكذلك تحدث إبراهيم نصر الله عن العودة إلى الوطن في روايته "المهارة الفلسطينية"، ويبقى موضوع العودة من أهم الموضوعات التي تناولها الروائيين في أعمالهم الأدبية مستعملين القلم، و معبرين بكلمات بسيطة لكنها عميقة، تعبر عن رفضهم القاطع لتغيير موطنهم مهما كانت الظروف فكانت فلسطين رمزاً للأم، والجذر، والأصل، والهوية، والخلود، والتراث، والصمود.

5-الإعتقال: تحدث الروائيون عن موضوع الاعتقال وأشكاله الذي ساطه الاحتلال الصهيوني على الشعب الفلسطيني، فلم يقتصر الاعتقال على الرجال فقط، بل كان نصيباً للنساء، فاختلفت وسائل وطرق التعذيب من شخص إلى آخر، "إن الممارسات الصهيونية اللاإنسانية والمستندة إلى الأوامر العسكرية ضد الشعب الفلسطيني، قد فاقت حدود الإرهاب، والإجرام النازي حتى أننا شبهنا المعتقلات الصهيونية وما يجري بها من ممارسات لا قانونية..."⁽¹⁾.

(1) محمد محفوظ جابر: الأسرى الفلسطينيون داخل السجون الصهيونية، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2017،

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

فقام الاحتلال بتعذيب واعتقال الفلسطينيين بطرق متعددة وهذا التعذيب لم يكم عشوائياً، بل كان نتاج عقل مملوء بالكراهية والحقد الشديد. ومن أنواع الاعتقالات الصهيونية نجد الاعتقال الإداري "وهو اعتقال يتم القيام به استناداً إلى أمر إداري فقط بدون حسم قضائي، وبدون لائحة اتهام، وبدون محاكمة وهو يسمح به دولياً، ضمن حالات استثنائية جداً كوسيلة لمنع الخطر.... ولكن الاحتلال الإسرائيلي الذي استخدمه ضد آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني"⁽¹⁾. هو الاعتقال الذي تستخدمه السلطات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، دون أن يتم محاكمتهم بحجة أنهم يمثلون خطراً وتهديداً للأمن، فيقومون بتسليط أبشع أنواع التعذيب عليهم، ونجد من الروائيين الذين تحدّثوا عن الاعتقال في موضوعاتهم: سحر خليفة في روايتها "باب الساحة"، والروائي غسان كنفاني في روايته "رجال الشمس"، وغيرهم من الروائيين الذين عاشوا تجربة الاعتقال.

وأخذنا نماذج عن مجموعة لأسرى فلسطينيين تعرضوا إلى شتى أنواع التعذيب في السجن الصهيوني:

* "نائل البرغوثي": يعد نائل صالح البرغوثي أقدم أسير فلسطيني في سجون الاحتلال ويلقب بعميد الأسرى، ولد في أكتوبر 1957 واعتقل في المرة الأولى سنة 1977. وحكم عليه حكم المؤبد و18 عام وأفرج عنه ضمن صفقة "وفاء الأحرار" عام 2011 ثم أعيد اعتقاله عام 2014 وأفرج عنه ثانية ضمن "اتفاق وقف إطلاق النار بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل".

(1) المرجع السابق، ص 8.

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

*"عبد الرحمان صلاح": الملقب "بشيخ الأسرى" ولد في مدينة جنين عام 1954 ، واعتقل في يونيو حزيران 2002 اثر أحداث مجزرة جنين وحكم عليه بالسجن 25 عام وأفرج عنه عام 2011 ضمن صفقة "وفاء الأحرار" ، التي تضمنت إطلاق سراح مجموعة من الأسرى الفلسطينيين مقابل الجندي الإسرائيلي، لكنه أعيد اعتقاله مرة ثانية 2014 وحكم عليه بالسجن 25 عام ثم خرج مؤخرًا وأبعد إلى مصر. وتقول ابنته رشا أنه عانى خلال فترة احتجازه من ظروف انسانية صعبة، فهو لا يرى إلا بنسبة 5% ويحتاج إلى مساعدة دائمة للمشي، ومع ذلك سحب الاحتلال منه عكازه ونظاراته وحرّم من العلاج اللازم وعمره 71 عاما، وأن الاحتلال كان عندما يؤخذ لزيارة المحامي، أو لموعد علاج كانوا يضربونه ويهينونه ويتهمونونه بالكذب قائلين "أنت قادر على المشي لكنك تتظاهر بأنك لا تستطيع" وتقول أيضا أنه كان محروما من أبسط حقوقه كالطعام، العلاج، الصلاة، النوم.....

*"جنين محمد عمر" من مدينة الخليل عمرها 25 عام وهي طالبة وتم تحريرها في الدفعة الأولى من صفقة "طوفان الأحرار" التي ضمت 90 أسيرا منهم 69 امرأة تروي تفاصيل تجربتها القاسية التي استمرت 14 شهرا من الاعتقال، مقدمة صورة حية عن معاناة الأسيرات وصمودهن في وجه الانتهاكات"⁽¹⁾، وهذا دليل قاطع على تعرض الشعب الفلسطيني سواء امرأة أو رجل إلى أبشع أنواع التعذيب وحرمانه من أبسط حقوقه.

(1)مقابلات: ندوة نظّمها مؤتمر فلسطيني أوروبا بعنوان "حكايات صمود ملهمة بين الواقع والأسطورة"، أحمد حافظ، ديانا جزّار، يوم 2025/04/20 على الساعة 00:10 صباحا، على الموقع: <https://www.aljazerzra.net>

الفصل الأول _____ الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي

بناءً على ما سبق يمكن القول أن الموروث الثقافي يعد من أبرز عناصر الهوية الوطنية، حيث يعكس تاريخاً طويلاً من التفاعل بين مختلف الحضارات التي تعاقبت على البلاد ويتكون الموروث من عناصر مادية ولا مادية، انتقلت عبر الأجيال، وشكلت جزءاً مهماً من النضال، من أجل الحفاظ على الهوية.

ويعتبر الموضوع هو العصب الرئيسي الذي يحرك أحداث الرواية الفلسطينية ويحدد رسالتها، فمن خلاله يُعبّر الكاتب عن رؤيته للعالم: قضاياها، وهمومه، وتطلعه، كما يُساهم في جذب القارئ ويُثير اهتمامه لمتابعة الأحداث والتفاعل مع الشخصيات ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

- كيف يُجسد باسم خندقجي الموروث الثقافي في روايته؟ وما هي الموضوعات التي تطرق إليها؟ والغرض منها؟



الفصل الثاني: مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني
في رواية "قناع بلون السماء"

تمهيد

أولاً: موضوعات الرواية الفلسطينية في رواية قناع بلون
السماء

ثانياً: تجليات الموروث الثقافي في رواية قناع بلون السماء لـ
"باسم خندقجي"

تمهيد:

تعتبر الرواية الفلسطينية من أبرز أشكال التعبير الأدبي التي عبرت عن قضايا شعب يعيش معاناة يومية يفرضها الاحتلال الصهيوني باستمرار، حيث تراوحت موضوعاتها في الحديث عن علاقة العرب باليهود والتحول من الصراع إلى فرض التعايش السلمي والحوار في ظل المعاناة الإنسانية، التي يعيشها المجتمع الفلسطيني.

صوّرت الرواية العديد من المواقف الدالّة على صمود الشعب الفلسطيني، أمام أنواع التعذيب والإقصاء وكبح الحريات، مما أجبره على ترك أراضيه وتهجيريه للسكن فيا لمخيمات والهجرة إلى ديار غير ديارهم وأوطان غير أوطانهم، كما صورت ملامح الارتباط العاطفي للفلسطيني المهجر والمغترب والشعور بالحنين والشوق إلى وطنه والرغبة في العودة إليه رغم المعاناة التي عاشها تحت ظلاله.

لم يسلم الشعب الفلسطيني من الاعتقالات التي كان يقوم بها الاحتلال الصهيوني والتي شملت مختلف شرائح المجتمع رجالا ونساء وأطفال وشيوخ، بحجة التصفية الإنسانية للمعارضين لمشروعها الاحتلالي، والمحافظة على أمن الدولة مسلّطة عليهم أبشع أنواع التعذيب سواء كان جسديا أو نفسيا، ذلك أن المقاومة الفلسطينية في حد ذاتها كانت ولا زالت صامدة مواجهة بمختلف شرائح المجتمع الفلسطيني، حيث لعبت المرأة الفلسطينية دورا هاما إلى جانب الرجل معبّرة عن انضمامها إليه في مقاومة الاحتلال ولعل رواية قناع بلون السماء من أبرز الروايات الفلسطينية التي عالجت القضية الفلسطينية، بتوجهات مختلفة ومتضاربة فكانت ملحمة سردية بامتياز.

الفصل الثاني ——— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

تطرق الروائي إلى موضوع العملاء والجوسسة من خونة الوطنية والعروبة، والذين تخلوا عن وطنهم وعملوا لصالح الاحتلال، وغيرها من الموضوعات التي لم تقتصر على سرد الوقائع أو تصوير المأساة، بل تجاوزت ذلك لإعادة رصد المقولات السردية، و توثيق أحداث الواقع الدرامي المأساوي، الذي يكتب التاريخ الفلسطيني في مواجهة الكيان الصهيوني، بروح نائرة لإعادة كتابة الواقع بوحي وطني و سلطة سردية تزوج بين الخيال والواقع.

وهنا استطاعت الرواية أن تتحول إل خطاب إنساني يطرح العديد من الأسئلة التي تدور حول الحرية، والعدالة، والظلم والكرامة، محاولة بذلك إيصال صوت الشعب والموقف من القضية الفلسطينية إلى العالم، والتعريف بجرائم الاحتلال في حق الشعب الفلسطيني والإصرار على أن القدس هي أرض فلسطينية ولا وجود لدولة إسرائيلية داخل الأراضي الفلسطينية.

أولاً: موضوعات الرواية الفلسطينية في رواية قناع بلون السماء:

تناولت رواية "قناع بلون السماء" للكاتب "باسم خندقجي" كغيرها من الروايات العربية العديد من المواضيع. واختلفت بين المرأة، والوطن، والمعاناة، والاعتقال، والتشريد، والتهجير، والتجوع، والحرمان من أدنى حقوق العيش، وغيرها من الموضوعات التي تبرز معاناة الفلسطيني الباحث عن ذاته في ظل الصراع وانتهاك حقوق الإنسانية ضده، معبرا عن الواقع المرير الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني، نتيجة الظلم، والقهر الذي سلطه الاحتلال الصهيوني، فتعددت وتنوعت الموضوعات بتعدد واختلاف أساليب القمع والاضطهاد، إلا أنها لم تخرج عن سياقها وهو التمسك بالهوية والأرض ومنها نذكر:

1-موضوع النكبة والهجرة:

ويرتبط بالتوجه السياسي والدعوة للمقاومة ورفض الواقع المأساوي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، حيث تعتبر نكبة 1948 من أهم المواضيع التي تناولها الروائيون العرب والفلسطينيون خاصة، لما له من وقع خاص على الفلسطيني خاصة والعالم العربي والإنساني عامة، نتيجة للمعاناة المستمرة ودموية وقسوة الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني من طرف الاحتلال الصهيوني المستبد، وما نتج عنه من دمار، وقتل وخراب... إلخ " حيث قامت المنظمات الصهيونية المسلحة سألقة الذكر، وغيرها بارتكاب العديد من المجازر ضدّ الأهالي الفلسطينيين، وذلك لبث الرعب في قلوبهم ودفعهم بالتالي إلى الفرار بأرواحهم، وهذا ما كانت تطمح إليه تلك المنظمات".⁽¹⁾

ارتكب الاحتلال الصهيوني سلسلة من المجازر الوحشية في حق الشعب الفلسطيني، وذلك ضمن استراتيجية مدروسة تهدف إلى نشر الرعب والخوف في صفوف المدنيين وإجبارهم على مغادرة ديارهم وأراضيهم، وكانت هذه الأعمال مخطّط لها من أجل إفراغ الأراضي من سكانها الأصليين، كما ساهمت في السيطرة على أكبر عدد من الأراضي دون مقاومة.

يروى "باسم خندقجي" نكبة 1948 التي حلّت بالشعب الفلسطيني في روايته، وما نتج عنها من خسائر مادية وبشرية فيقول: "ليس ثمة معنى لإسم المخيم الفلسطيني إلا عندما ترتكب فيه المجزرة، ليصبح إسماً من أسماء المآسي في تاريخ الإنسانية، يصبح اسمه مخيم تل الزعتر أو صبراً أو شاتيلا أو جنين أو الشاطئ".⁽²⁾

⁽¹⁾ إبراهيم الجندي: اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1، 2001، ص 8.

⁽²⁾ باسم خندقجي: قناع بلون السماء، دار أكتاب للنشر والتوزيع، ط 1، 2023، ص 16.

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

فكلمة مخيم تعني الملجأ الذي اتجه إليه سكان فلسطين نتيجة المجازر التي وقعت في تلك الفترة فاتخذوا المخيم بيتاً لهم، فالمخيم مرادف للمأساة والمجازر وانتهاك الحقوق، كما أنه تحوّل من الأمن والاستقرار إلى التشرّد والعراء واللاأمن واللااستقرار، فيتحوّل ذلك المخيم ليصبح اسمه: مخيم تل الزعتر أو صبرا أو شاتيلا أو جنين أو الشاطئ وكلّها أسماء مخيمات تحوّلت إلى مكان اللجوء، وارتبط الاسم بمجزرة صبرا شاتيلا التي وقعت في سبتمبر 1982 وكانت من أسوء المجازر بحق اللاجئين الفلسطينيين وهو دلالة على الجرم العميق في الذاكرة الفلسطينية والعربية، أمّا اسم الشاطئ يُعرف باسم مخيم الشاطئ للاجئين ويعدّ من أكبر المخيمات للاجئين في غزة والشاطئ رمز للأمل والانفتاح على البحر كطريق للعودة أو الخلاص، كما نجد تسمية المخيمات بأسماء تدعو إلى الانعتاق والعيش بحرية، والحلم بغد أفضل، والصبر على الابتلاء (مخيم صبرا) وبهذا يحمل المصطلح محمولا دينيا يدعو إلى تقوية الصبر بالإيمان والتضحية، والتشبث بطريق الحق، كما يحيل مخيم (جنين) إلى إمكانية الولادة من جديد بالحصول على الحرية وتجاوز محطات العنف والتقتيل، والحلم بالحرية والعدل والمساواة، كما يحيل (تل الزعتر) إلى الصمود أمام وحشية بني صهيون فقاموا بتهجير سكان الشمال الفلسطيني إلى حدود بيروت الشرقية، وهنا يروي التاريخ الاستعماري معاناة المهجرين وصمودهم أمام الصراعات والحروب التي راح ضحيتها الكثير من الفلسطينيين، وبقيت الذاكرة الفلسطينية ترى في هذا المخيم رمزا أسطوريا يوحى بالمعاناة والصمود،

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

نجد كذلك من الوقائع الدالة على النكبة "التي نُكِبَت وهُجِرَ أهلها البالغ عددهم أربعمئة نسمة في شهر تموز من عام 1948... بل هُجِرُوا .. وها هم الآن يقعون لاجئين ولاجئات في مخيمات اللجوء"⁽¹⁾، قام الاحتلال الصهيوني المستبد في شهر تموز عام 1948 بتهجير عدد من السكان البالغ عددهم أربعمئة نسمة وإخراجهم بالقوة من ديارهم، وجاءت هذه الهجرة في سياق تهجير جماعي، حيث شرد أهلها من أراضيهم ومنازلهم، وها هم الآن يقيمون في مخيمات اللجوء محرومين من أبسط حقوقهم كالدفع، الراحة، النوم، وأصبحوا غرباء في أراضيهم مشردين.

وقول الكاتب كذلك "الاحتلال يعتدي على المزارعين في الأغوار الشمالية-الاحتلال يجبر مواطنًا مقدسيًا على هدم بيته على نفقته الخاصة بحجة عدم الترخيص"⁽²⁾ وهو مشهد من المشاهد الإجرامية التي يقوم بها الاحتلال فمِنطقة الأغوار الشمالية هي منطقة زراعية غنية وذات دليل أهمية إستراتيجية يسعى الاحتلال إلى السيطرة عليها، وهذا دليل على أن الاحتلال لا يقوم بإخلاء الأراضي من سكانها عشوائيًا، بل هو عمل مخطط ومدروس بدقة، والغرض من إجبار المواطن على هدم بيته بنفسه بحجة أنه لا يملك رخصة لا أساس لها من الصحة بل الهدف منه هو جعل المواطن يعمل على تحطيم وهدم أحلامه بنفسه فيقوم بزرع الخيبة ويفقدان الأمل في بناء مستقبله.

تطرق الكاتب إلى وصف الأماكن والقرى الفلسطينية التي حورها الاحتلال وغيرها ليستقط عنها الهوية الفلسطينية، ويلحقها بالكيان الصهيوني، حتى وصل به الأمر إلى تغيير اسمها واستبدالها بأسماء ذات علاقة مباشرة بالتواجد الصهيوني، والسيطرة اليهودية، ومحاولة تهويد

⁽¹⁾الرواية: ص 66.

⁽²⁾الرواية: ص 34.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

فلسطين، ومن بين الأسماء: "قبر شمشون وأبيه منح"، حيث يمنحها تواجدا يكاد يكون منطقيا فيكسبها انتماء جغرافيا وإيديولوجيا، وكأنه بذلك يعطي مبررا منطقيا لإعادة إعمار فلسطين بالتواجد التوسعي للكيان: "بعد أن اطلع على بياناته من خلال منشورات وزارة السياحة الصهيونية إذ هو موقع القرية التوراتية "صرعة"، مسقط رأس البطل التوراتي الخارق شمشون الجبار".(1)

وهنا يحاول الاحتلال تغيير الواقع واستبداله بواقع أو بمرجعية دينية يهودية، مثل قبر شمشون وهي شخصية أسطورية ويعتبر من أبرز القضاة الذين حكموا إسرائيل في العهد القديم وكان معروفاً بقوته وهذا القبر رمز لتأكيد استمرارية اليهود في المكان حسب منظور صهيوني.

ونجد كذلك في قوله "حين زرع أجدادك هذا الجبل بالجنث والأشجار لإخفاء بقايا معالم قرية أبو شوشة التي هجرتم أهلها وقتلتموهم إبان نكبة 1948.

-كلا... أنت مجرد حاقد ومفترس للحقائق التاريخية فأجدادي زرعوا هذه الغابة من أجل الاستجمام والتنزه والتخييم لا أقل ولا أكثر".(2)

ولهذا عمل الاحتلال الصهيوني على زرع الجبال بالجنث نتيجة نكبة 1948، فنمت الأشجار في تلك الجبال وغطت تلك الجنث وأخفتها لتتحول هذه الأماكن إلى التنزه والتخييم والاستجمام، وهذا عمل متعمد قام به الاحتلال الصهيوني من أجل محو آثار الجريمة التي إبان نكبة 1948. كما يحيل هذا على محاولة طمس الهوية الفلسطينية، والإقرار بالوجود الشرعي لهذا

(1) الرواية: ص 64.

(2) الرواية: ص 147.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الكيان الغاشم الذي صنع سيطرته وقوته بجثث الضحايا، وحول المجزة بعد سنوات إلى متنزه ، فتحوّلت المأساة إلى ملهاة، والحزن والبكاء إلى فرح تهليل وانتشاء.

2- المرأة:

تعتبر المرأة في الرواية الفلسطينية رمزًا متعدد الأبعاد فهي رمز للهوية، والذاكرة، والمقاومة، باعتبارها قوة فاعلة ومؤثرة في مسار حركة البناء والتحرر، إضافةً إلى كونها نبعًا فنيًا ثريًا بالدلالات ف" صلاح البشرية مرتبط ارتباطًا وثيقًا بصلاح الأسرة، والعبء الأكبر في إصلاح الأسرة يقع على المرأة، فهي المدرسة الأولى والمربي الأول، فهي الأم والزوجة والأخت".⁽¹⁾ وبذلك فالمسؤولية الملقاة على عاتق المرأة مسؤولية صناعة الأجيال، فتجاوزت بذلك دورها البيولوجي إلى أدوار تنافس وتتجاوز أحيانًا دور الرجل.

يختلف دور المرأة وتتعدد صورها في الرواية، فهناك الزوجة، الأم، البنت، الصديقة، وغيرها. فالمرأة هي نبض الأسرة حيث تعمل على ترسيخ القيم، وتوجيه الأبناء، وبناء أجيال قوية أخلاقياً وفكرياً. ونجد "باسم خندقجي" يعرض المرأة في عديد من الأدوار سواء كانت رئيسية أو ثانوية تجمعها شخصية امرأة واحدة بأدوار متعددة وقد تكون متصارعة ومتناقضة في الكثير من الأحيان، وأبرزها صرامة المرأة الفلسطينية وقوتها في المحافظة على هويتها وأصالتها فنجد:

***الأم:** وهي الركيزة الأساسية في بناء الأسرة والمجتمع وهي الحضن الدافئ والقلب الحنون الذي يعطي بلا مقابل. وقد كرم الله تعالى الأم وعظّمها للمكانة الكبيرة والمجهودات الجبارة التي تقوم بها

⁽¹⁾ عادل بن حسن بن يوسف الحمد: دور المرأة في رعاية الأسرة، دار النشر، الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب، جدّة، السعودية،

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ويكفي أنّ وضع الجنة تحت قدميها، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجنة تحت أقدام الأمّات".

يقول "باسم" في روايته قناع بلون السماء: "أم عدلي المرأة الستينية بوجه يقاوم الزمن والأزقة بيدر ممتلئ كسا وجهها، لم لا؟ فهي تستعد الآن والشوق يعبق بداخلها، فبعد قليل ستمضي للزيارة، زيارة ولدها المحكوم بالسجن المؤبد مدى الحياة".⁽¹⁾

"أم عدلي" تلك المرأة الستينية تُعبر ملامح وجهها على العديد من التجارب خلال السنوات التي قضتها من حياتها حلوها ومرّها، ووجه ممتلئ بالمقاومة لظروف الحياة الصعبة إلا أنّها تستعد بشوقٍ وشغفٍ من أجل أن تمضي للقاء فلذة كبدها المحكوم عليه بالسجن المؤبد وقد وصف الكاتب هذه الرحلة برحلة الشتاء والصيف لبُعد المسافة ومشقة السفر وعلى الرغم من طول السفر، إلا أنّها تبقى الأم الحنونة الصابرة على تحمّل أعباء السفر من أجل مشاهدة ولمس ولدها.

كما جاء في الرواية حول شخصية أم عدلي: "ذبحت قلبي أم عدلي هذا الصباح، وهي تلفني بأنفاس أمومتها الطاهرة، أثناء مرافقتي لها إلى الحافلة".⁽²⁾

تأثر نور بطل الرواية بأم عدلي من تصرفاتها وأنها تغمره بأنفاسها الطاهرة، الدالة على الأمومة الصادقة والقوية التي تربطها بابنها، وشعوره بحب أم عدلي لولدها أثناء مرافقته لها.

كما تطرّق الروائي "باسم خندقجي" للتحدث عن المرأة واصفًا صفاتها المادية والمعنوية متحدّثًا عن جمال الفتاة الفلسطينية فنجد "أم نور": "التي قضت بعد إنجابها بلحظات متأثرة بنزيف

⁽¹⁾الرواية: ص 17.

⁽²⁾الرواية: ص 37.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

حادٍ لم يرأف بطفلها البكر، وبعمرها الذي لم يتجاوز العشرين عامًا حينذاك، لتتغنى الحاجة أم عدلي بجمال نورا، وزُرقة عينيها، وشُقرة شعرها، وبياضها، وحُسنها، وشاماتها، ونشها.... شمس اللد التي لم تُشرق عليها".⁽¹⁾

نورا كرادنة المرأة التي لم تتجاوز العشرين بعد، لتتل منها الحياة بعد إنجابها لطفلها بلحظات متأثرة بنزيف، وهذا دليل على تضحية الأمّ بنفسها وتحمل آلام الولادة من أجل أن ترى فلذة كبدها وتنجب من نسلها وتقوم أم عدلي بوصف جمال "أم نور" فهي في نظرها كالقمر، شقرة الشعر مثل خيوط الذهب وزُرقة عينيها كالبحر وبيضاء كالثلج وهذه الصفات نجدها عند المرأة العربية عامةً والفلسطينية خاصةً.

*سماء إسماعيل: وهي شخصية رئيسية في الرواية، رمزًا للجمال والهوية والذاكرة والمقاومة "اسم سماء إسماعيل طالبة دراسات عليا في حقل الآثار، من حيفا، من هذه البلاد، جاءه الصوت الأثوي المبحوح، من جانبه، انبعث عن يساره من فتاة متشحة بحبر شعرها وملابسها السوداء مست نخاعه بقشعريرة حادة كادت تُطيح به عن القاعة".⁽²⁾

يحيل اسم "سماء" على دلالات متعدّدة أراد الروائي أن يُبطنها الروائي ليُجعل القارئ يستنشق من وراء ذلك الأبعاد الدلالية المرتبطة بـ"سماء"، والتي تحيل على السمو وطلب الحرية، وهذا الطلب الذي بعد حلمًا لكل فلسطيني. كما أنّ اختيار تخصّص الآثار له بُعدًا آخر وهو الارتباط العميق بالأرض والتمسك بالهوية الفلسطينية العربية الإسلامية، كما يحيل أيضًا إلى مشاركة المرأة الفلسطينية في تحرير وطنها من خلال بتحدّي طلب العلم والمعرفة واختيار تخصص علمي يمكنها من إثبات ذاتها كإمرأة فلسطينية، كما يمكنها على تغيير الواقع وتدخل ضمن

⁽¹⁾الرواية: ص 22 .

⁽²⁾الرواية: ص 159.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الصراع الثقافي والفكري لإثبات هويتها وقدراتها. وصف الكاتب سماء مبرزًا صفاتها المادية والمعنوية معبرًا عن جمالها الخلاب ومدى تأثره بها لدرجة أنه كاد أن يقع في حبها.

تطرق الكاتب أيضًا إلى الفتاة اليهودية واصفًا جمالها لقوله: "إنها غزالة بحق يا صديقي... وأرجو أن لا تسيئ فهمي في هذا الجانب... فأنا كما عهدتني أنت".⁽¹⁾

يحيل إعجاب واحترام نور لليهودية "إيالا" على فكرة التسامح وتقبل الآخر، فعلى الرغم من العداوة الذي يكنها الشعب الفلسطيني لليهود، فإنه وصفها بالغزال، وهذا التشبيه يوظف إلى الشخص فائق الجمال، والعرب كانوا إذا أحبوا شيء أو أعجبوا به يصفونه بالغزال، وهذا الأخير معروف بجماله ورشاقته إلا أنه يخبر صديقه أنه لا توجد نية وراء ذلك الوصف ف "إيالا" تبقى الفتاة اليهودية الصهيونية التي احتلت وطنه بالقوة .

***مريم المجدلية:** وهي شخصية رئيسية في الرواية حيث تم توظيف هذه الشخصية منذ بداية الرواية إلى نهايتها، ومدى تعلق بطل الرواية نور بها إلى درجة أنه قام بانتحال شخصية إسرائيلية مقابل إجراء بحث عنها "إن إثبات تاريخية مريم المجدلية به شيء من العبث... غير أن هذا لا يعني عدم الإيمان بوجودها إلى جانب يسوع في الحديث الإنجيلي كما يقول أوغستين: "أنا أو من لأنه عبث".⁽²⁾

فمريم اسم مقدس يحمل معنى النقاء والطهارة والصبر بالنسبة للإسلام والمسيحية، أمّا المجدلية هي دلالة عن ربط الدين بالمكان ، وذلك أن مريم ولدت في فلسطين وأن موطنها الأصلي هي فلسطين و هذه حقائق لا يريد الإحتلال تقبلها .محاويلين تشويه التاريخ وانتسابها لهم.

⁽¹⁾الرواية: ص 116.

⁽²⁾الرواية : ص 113.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ونجد كذلك "مريم المجدلية هي امرأة ثرية من قرية مجدلة تعمل بالتجارة وتمتلك بيتا فخما في القدس ... وبالتالي فإن المجدلية هي الحضور المتناقض في الحياة الحضور الثنائي للخير والشر، للتوبة والخطيئة للملاك والشيطان".⁽¹⁾

فمريم تعد من أكثر الشخصيات التي تثير الجدل خاصة بين المسيحية والإسلامية، إرتبط اسمها بين الخطيئة والتوبة، فهناك من يرى أنها أخطأت ولكنها عادت وتابت ورجعت إلى ربها بصورة المرأة الطاهرة وهناك من يرى أنها طاهرة و نقية وأنها لم تخطئ.

* **زوجة الأب:** على الرغم من أن باسم لم يُسلط الضوء كثيرا على زوجة الأب، فأظهرها كشخصية ثانوية تساهم في إبراز التغيرات التي طرأت على الحياة الأسرية "النور" ودخولها إلى بيته بصفة زوجة الأب التي تحاول أن تعرض نفسها كبديل زائف كان الأم الحقيقية. "إنها زوجة أبيه ابنة الخمسين عامًا وخالته أخت أمه في الوقت نفسه تزوجها أبوه بعد خروجه من السجن بعام واحد نزولاً عند رغبة أمه الراحلة سمية".⁽²⁾

تمثل زوجة الأب دور المرأة الخاضعة التي قبلت بالزواج بـ "أبو نور" تحت وصية أمه لها قبل أن تموت، فهي تحاول أن تعيد إعادة تكوين الأسرة من جديد بعد فقدان الحلقة الأساسية وهي الأم، وقوله كذلك: "كان يصحو فيه في بعض الليالي على أصوات نشيج وعويل ونحيب تنبعث إِمّا من أبيه أو من زوجة أبيه".⁽³⁾

(1) الرواية: ص 54-55.

(2) الرواية: ص 38.

(3) الرواية: ص 38.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

كان "نور" يصحو في العديد من الليالي فيسمع صوت مرتفع إما من أبيه أو من زوجة أبيه وهي دلالة على تبعثر العائلة وعدم الاستقرار فعائلة نور تعاني من اضطراب ومشاكل داخل البيت وهذا المنزل ليس فيه الحب والحنان وليس به استقرار عاطفي. وهنا تظهر زوجة الأب في الرواية بدور الزوجة غير المبالية لأولاد زوجها.

3-الاعتقال:

تعرض الشعب الفلسطيني "رجال، نساء وأطفال" من طرف الاحتلال الصهيوني، ومن أبرز الانتهاكات المستمرة في حق الشعب الفلسطيني هو اعتقال الشخص دون تهمة أو محاكمة بحجة المحافظة على أمن البلاد.

وقد تطرق الروائيون للحديث عن الاعتقال "إذا أردتم أن تعرفوا ما هو الإرهاب عليكم زيارة الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني الذي يتعرضون يوميًا للإرهاب وكذلك الشعب الفلسطيني داخل السجن الكبير في الوطن العربي وهناك نوعين من التعذيب: التعذيب النفسي، والتعذيب الجسدي"⁽¹⁾.

فالإرهاب الحقيقي هو ما يتعرض له الشعب الفلسطيني وخاصة الأسرى من طرف الاحتلال الصهيوني فهم يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب كالضرب والحرمان من النوم إلى جانب التعذيب النفسي بأذى ذويهم إنما يعيشه الفلسطينيون هو إرهاب منظم تمارسه دولة إسرائيل ضد شعب أعزل هدفه أن يعيش بأمن وسلام وحرية.

⁽¹⁾ محمد محفوظ جابر: الأسرى الفلسطينيون داخل السجون الصهيونية، فضاءات للنشر والتوزيع، ردمك، ISBN 2562، عمان، الأردن، دط، 2017، ص06.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

تحدّث "باسم خندقجي" في روايته قناع بلون السماء على الاعتقال وصنّفه حسب رؤيته

إلى نوعين:

3-1- الاعتقال الجسدي:

هو ذلك الاعتقال الذي تمارسه السلطات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، وتسلبت عليه أبشع وأشد أنواع التعذيب ونجد في الرواية "من أجل أن تراني من وراء الزجاج العازل للمشاعر لمدة لا تزيد عن خمس وأربعون دقيقة في الشهر. فإذا ما قمت أنا بحسم الإغلاقات التي يفرضها علينا الاحتلال بحجة الحفاظ على الأمن خلال فترة أعياده القومية والدينية".⁽¹⁾

يعبّر مراد عن معاناته داخل السجن، وكيف يرى أمّه في مدة محدودة وراء زجاج عازل يفصل بينهما، بحيث لا يمكن أن يتلامس أو يقترب الواحد من الآخر، لمدة تتراوح عن خمسة وأربعون دقيقة، يفرضها الاحتلال وهي مدة لا تكفي حتى يتمكن الطرفين من الإشباع بالنظرات والاطمئنان بحجة المحافظة على أمن البلاد.

ونجد كذلك: "فانتزعت القوة مراد بسرعة البرق من حوار مع نور، وأزقة المخيم وبيته

وطفولته، وشبابه، وذكرياته".⁽²⁾

بين لنا صورة اعتقال "مراد" فقد قام المحتل بمداهمة بيت مراد، وقبض عليه بين أحضان أمّه وصديقه "نور" اللذان كانا يتحاوران على طاولة الإفطار في شهر رمضان. وتمّ اعتقاله كالبرق وهي دلالة على السرعة أي دفعة واحدة دون مقاومة، كما يرتبط الاعتقال بالانفصال القسري عن هوية المعتقل وإبعاده عن بيئته، وبالتالي إقصائه تماما من الفضاء الذي ينتمي إليه ذلك الفضاء

(1) الرواية: ص 18.

(2) الرواية: ص 21.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

المفعم بالحنين إلى السكن والمأوى وأحلام وذكريات الطفولة والشباب، وهذه أبسط حقوق الفلسطيني الذي يسعى الكيان إلى حرمانه منها.

ومن بين المعتقلين الذين تعرّضوا للاعتقال، نجد "أبو نور": "أبوه مهدي، الذي ما إن أُفْرَج عنه سجون الاحتلال في أواخر شتاء عام 1995، حتى اختلّت موازنه أو خفت أو ثقلت" (1).

يعد "مهدي" ذلك البطل الذي أُعتقل من طرف الاحتلال والإفراج عنه أواخر الشتاء، حدث له اضطراب وتغيير كبير في حياته، ليتحول من شخصية البطل المقاوم والمناضل الذي أُرعب المحتل إلى شخصية ضعيفة، ومهزومة نفسياً واجتماعياً وهذا التغيير الجذري من الأحسن إلى الأسوء، نتيجة المعاناة النفسية والجسدية القاسية التي تلقاها في السجن من طرف الاحتلال الصهيوني.

وتتوسع وتشتد المعاناة باشتداد وضيق فضاء السجن، ومواجهة الخذلان والتواطؤ والنكران "ليس هذا ما خذله وأذى قلبه فقط، ما خذله هو النكران الجارف والجاحد بحق أسرته الصغيرة المكوّنة من أمّه وطفله اليتيم طيلة سنوات أسره. وحكم الجائر القاضي بخمسة وعشرون عاماً في السجن قضى منها خمساً خذله أصدقائه ورفاق دربه في النضال والانتفاضة" (2).

يصف الراوي شدة الانكسار النفسي لمهدي وشعوره بالعجز أمام أسرته الصغيرة، المكوّنة من أمه وطفله اليتيم، فلم يستطع أن يوفر لهم الرعاية الكافية لأن الاحتلال قبض عليه واعتقله وحكم عليه لمدة خمسة وعشرون عاماً، إضافة إلى نكران أصدقائه له ولعائلته ولنضاله

(1) الرواية: ص 30.

(2) الرواية: ص 32-33.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

وكفاحه، فهو كان معروف بتاريخه ونضاله البطولي الذي يشهد له بصموده و مواجهة الكيان بكل ما تحمله نفسه من قوة جسدية ونفسية ومادية.

3ب-الاعتقال الرمزي (النفسى): هو نوع من الاعتقال ويظهر من خلال انتحال شخصية محددة

لشخصية أخرى، بدافع ما أو لسبب ما، إمّا من أجل تحقيق حلم، أو من أجل العيش بسلام، أو ينتحل دور شخصية ما انتحالا قسريا مفروضا.

ونجد في الرواية "قناع بلون السماء" شخصية "أبو نور" ذلك الرجل الذي تعرّض إلى الاعتقال الجسدي، كما أنّه تعرّض للاعتقال النفسي من خلال: "مهدي الشهيد يطل الانتفاضة وسيد أزقة المخيم والمطارد الذي لُقّن أعداءه دروسًا في المقاومة. بات نضاله عنفا وثورته إرهابًا ومعاناة اعتقاله وحرمانه... وقع مهدي وتعهد بعدم العودة إلى العنف، حينئذ شعر أنه أوقع قلبه في هاوية الخذلان، التي لا قرار لها".⁽¹⁾

عُرف مهدي بالبطولة الشعبية سواء في مقاومة الاحتلال أو مساعدة الناس، فقد كان يتمتع بقدرات كبيرة وهيبة واحترام داخل المخيم. فكان ذلك الشخص المطارد من طرف الاحتلال، كما يُعد من أبرز المناضلين الذين لُقّنوا الاحتلال درسًا في المقاومة من أجل الوطن. والذي صنّقه الاحتلال بإرهابي مخالف للقانون، جعل مهدي يوقع تعهد بعدم العودة إلى العنف، ليتحوّل ذلك البطل من الشخصية القوية والشجاعة، إلى شخصية ضعيفة نتيجة الخذلان والمعاناة التي تعرّض لها.

لينتقل "باسم" الحديث عن بطل الرواية نور الذي تدور أحداثها حول انتحاله لشخصية يهودية اختارها وفرضها على نفسه، من أجل تحقيق حلمه حول رواية "مريم المجلية"

⁽¹⁾الرواية: ص 33.

«انتشل البطاقة من جيبه وفتحها مطالعا على بيانات صاحبها وصورته التي ظلمنها شابًا وسيماً:
-الاسم: أور.

-اسم العائلة: شايدرا».(1)

عثر نور في سوق الخردوات على بطاقة توجد بها معلومات حول شخصية يهودية،
وعند قراءته لها وجدها مطابقة لبيانات بطاقته، أي أن اسم "أور" يعني باللغة العبرية "نور"،
وهذا ما سهّل عليه الأمر في انتحال شخصية يهودية تُدعى "أور"، واستخدامها لصالحه من أجل
تحقيق حلمه دون أن يتعرف أحد على حقيقته.

امتد الانتحال إلى تبني هوية مغايرة والشعور الداخلي بهذا التغير والتحول الذي أوشك
على تبنيه تبنيًا واقعيًا: "فالقناع لم يعد بالملاح فحسب بل امتد ليسري في هويته ويمزجها بهوية
أخرى، متسائلًا في سره حينذاك: هل سأرتكب حقًا هذه الشخصية الصهيونية الأشكنازية؟"(2)
يشدد صراع "نور" مع نفسه حول انتحال الشخصية، حيث أصبح القناع جزء منه
فتداخل الهويتان في شخصية واحدة ومن ثمة اكتساب معطيات جديدة لهوية مصطنعة، قد
تتحول إلى قناع ذاتية فيما بعد. فالقناع هنا يُستخدم كأداة فنية للتعبير عن الذات والهويات
المتعددة، ليصبح نور ممزقًا بين هويته الأصلية والهوية التي يتقمصها. لي طرح تساؤل حول نفسه

(1) الرواية: ص 44.

(2) الرواية: ص 61.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

هل سينتحل هذه الشخصية الصهيونية وكيف سيكون حاله عند انتحالها فـ "نور" لم تُفرض عليه انتحال الشخصية بل هو الذي فرضها على نفسه من أجل روايته المجدلّية.

تطرق الكاتب إلى الاعتقال النفسي عند المرأة الفلسطينية فنجدّه تحدّث عن شخصية سماء الفتاة الفلسطينية فيقول: "أيها المغفّل أنا أنتظر عمراً بأكمله من أجل الخلاص من هذه الهوية".⁽¹⁾

تشير هذه العبارة إلى أن سماء في صراع داخلي بين نفسها عند انتحالها للهوية المغايرة، فتجد نفسها عالقة بين هويتها الفلسطينية، وهويتها الأخرى وأنها لم تكن سعيدة بهذه الهوية وأنها سوف تعمل جاهدة للتخلص منها. فهي تعزز بأصلها وكونها عربية فلسطينية. وترفض انتمائها القسري إلى هوية ترفضها جملة وتفصيلاً.

4- علاقة العرب باليهود بين الصراع والتعايش:

تصور أحداث الرواية هذه العلاقة بشيء من الحوار والتقبل، فكانت علاقة العرب باليهود في بداياتها علاقة وطيدة، حيث كانوا يتعايشون فيما بينهم، ويتشاركون ويتبادلون العطاء في مجالات متعددة أهمها التجارة، والطب، والفنون، فقاموا بشراء الكثير من الأراضي الفلسطينية من الطبقات وهذا ما أقلق العرب فتوترت العلاقة بينهما، مما أدى إلى نشوب النزاعات والحروب، فـ "بالرغم من أن كل خطوة يخطوها الصهيوينيون في سبيل امتلاك أراضي العرب في فلسطين، هي شرعية وأنهم دفعوا أثماناً غالية مقابل امتلاكها، فإن الجماهير العربية شعرت بصورة عامة أن وضعها سائر من سيء إلى أسوأ".⁽²⁾

⁽¹⁾الرواية: ص 224.

⁽²⁾هوكينغ، وليم ارنت: فلسطين رمز جهاد العرب، مطبعة النقبض الأهلية، بغداد، دط، 1945، ص ص 20-21.

فقد قام الاحتلال الصهيوني في بداية الأمر بشراء الأراضي من ملائكة العرب، وكانت البيعة شرعية قانونية، كما أنهم دفعوا أموالاً طائلة من أجل الحصول على هذه الأراضي. ولكن مالبث أن أحس العرب بالخطر فشعروا بخوف كبير من الامتداد الصهيوني، وأدركوا أن الأمر أصبح أسوأ. ويقول "باسم" في هذا: "فقد قام بنحتها نحات روماني عاش في القدس في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، كان قد آمن سرًا بيسوع بعد أن كان وثنيًا ليتوارث الصندوق من بعد أبناءه و أحفاده.."⁽¹⁾، ولعل امتلاك اليهود للأراضي العربية الفلسطينية أسهم في توتر العلاقات التي أصبحت مبنية على فكرة توسع واحتلال ضمني، أو مؤشر رئيسي لتقاسم اليهود مع العرب الأراضي الفلسطينية.

كما صور الروائي نوعاً من التعايش والحوار بين الأديان، وتقبل الآخر رغم اختلافه العقدي، وذلك من خلال سرد قصة النحات المسيحي التي تدل على التعايش بين العرب واليهود والمسيحيين، ففي النصف الثاني من القرن كان هناك نحات يعيش في القدس وهي فترة إنتشار المسيحية بين اليهود والأمم الأخرى فكان هذا النحات يؤمن سرًا بيسوع لكنه أخفى إيمانه وبعد وفاته انتقل الصندوق المنحوت إلى أولاده وأحفاده.

⁽¹⁾الرواية: ص36.

^(*)معركة مشمار: هي معركة دامت 10 أيام من 04 إلى 15 أبريل 1948، بين جيش الإنقاذ العربي (لواء اليرموك) بقيادة فوزي القاوقجي والهاغاناه (البلماح وحيش) بقيادة إسحاق سادة، ينظر موقع موسوعة ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> يوم: 2025/06/13 على الساعة 00:18 سا)

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

كذلك نجد "لمحت نصبا تذكاريًا لضحايا الهولوكوست من الأطفال، به شيعي من الضرر فأفادتني "أيالا" بأن قذيفة أصابته خلال "معركة مشمار" (*) التي وقعت ما بين جيش الإنقاذ العربي وبين العصابات الصهيونية أيار 1948".⁽¹⁾

لمح "نور" نصبا تذكاريًا وهو معلم أو تمثال لتخليد ذكرى الإبادة الجماعية التي اندلعت بين جيش الإنقاذ العربي - (وهو تشكيل عسكري تطوعي من عدة دول عربية) - لدعم فلسطين ضد العصابات الصهيونية.

وقول الكاتب أيضًا: "إن حركة حماس الإرهابية منحت حكومتنا مهلة حتى السادسة مساءً لمنع مسيرة الإعلام المُنوي إقامتها بعد قليل بالبلدة القديمة في أورشلين".⁽²⁾

وصف حركة حماس بالإرهابية في نظر الصهيوني، فحماس قدمت مهلة زمنية محددة للحكومة اليهودية إذا لم تنفذ مطالبها المتمثلة في توقيف مسيرة الإعلام التي ينظمها المستوطنون الإسرائيليون في القدس، وتعتبر إستفزازية للفلسطينيين و كل هذه الدلائل تدل على توتر العلاقة بين العرب واليهود.

كما تحدث "باسم" عن حقد الشعب اليهودي تجاه الفلسطينيين في الرواية من خلال شخصية "أيالا" الفتاة اليهودية لقوله: "ما بال هذه العربية يا أور؟ كأنها تقول سوء عن إسرائيل لهذا الكندي الأحمق"⁽³⁾، تُظهر هذه العبارة وجود توتر بين الهوية العربية والهوية الإسرائيلية، حيث تستغرب "أيالا" من حديث سماء مع الكندي التي تصفه بالأحمق لكونه يُظهر تعاطفه

(1) الرواية: ص ص 156-157.

(2) الرواية: ص 230.

(3) الرواية: ص 176.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

وتحايدة معها لتقوم سماء بالتعبير عن مظلوميّتها أو موقفها الناقد اتّجاه اسرائيل، وهذا الأخير يزجج "أيالا" كثيرا ويشير غضبها، ممّا يجعلها تدافع عن وطنها اسرائيل.

ونجد أيضًا: "تدفق الوقت في حواراته العبرية مع "أيالا" وإعراب الدائم عن غيظها وامتناعها من حضور هذه العربة"⁽¹⁾، تشير هذه العبارة إلى حديث نور مع "أيالا" وأنّه كان منخرط في الحديث باللغة العبرية وأثناء هذا الحديث كان الوقت يمرّ خلاله سريعاً وهذا يدلّ على شدّة التفاعل أو انغماسه في الحوار ومع ذلك كانت "أيالا" تُظهر بشكل متكرّر انزعاجها وغيظها من وجود امرأة عربيّة، فهي تشعر بعدم الارتياح لهذا الحضور العربي ضمن بيئة يهوديّة اسرائيلية ف"أيالا" تنظر إلى سماء بنظرة استعمارية وكانت دائماً تعبّر عن كرهها وعدم تقبّلها لكونها فلسطينية تعنّز بهويّتها وعروبيّتها.

5- العودة إلى الوطن:

الوطن هو المكان الذي نعيش فيه ونحبه، وهو الحزن الدافع الذي ننتميه ونحتمي به، فحب الوطن ليس مجرد شعور عابر هو التزام دائم بحمايته والدفاع عنه: "حبّ الوطن غريزة متأصلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه ويحنّ إليه إذا غاب، ويدافع عنه إذا هُوجم، ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه فإن حنين الرجوع إليه يبقى معلقاً في ذاكرته، لا يفارقه"⁽²⁾.

⁽¹⁾الرواية: ص 185.

⁽²⁾عبد العظيم أحمد عبد العظيم: محبة الوطن، تاريخ الإنشاء، دط، 21 يناير 2018، ص 4.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

حبّ الوطن شيء طبيعي يُولد مع الإنسان منذ الطفولة فالوطن هو الرّاحة والطمأنينة والأمان، والإنسان يشعر بالرّاحة عندما يكون في وطنه مجتمعًا مع أسرته، وإذا غاب عنه فإنّه يحنّ ويشتاق إليه ويتمنى الرجوع إليه. وإذا تعرّض ذلك الوطن إلى أي هجوم فإنّه يدافع عنه بكل قوّة، فالوطن غالٍ واجب على كل إنسان أن يحميه ويدافع عنه لأنّ تراب الوطن أغلى من الذهب.

الوطن هو من الموضوعات التي تتركز عليها الرواية موضوع الدراسة، فنجد نور يعبر عن حنينه واشتياقه للوطن حالًا بالحرية والسلام لوطنه العزيز فلسطين إذ يقول: "ثم استدار حول نفسه ملهوفًا كأنه يبحث عن شيء فقده منذ زمن، ثم تسلّق على حين غرّة جدار المقام الواطئ صاعدًا نحو سطحه وشرع بخطاب حماسي مثير بصوتٍ مجروح: كلا سيداتي وسادتي... كلا... دعوني أستسمح طُهر آذانكم، وبراءة قلوبكم، وإخلاص ضمائرکم... لأقول لكم أن كل ما تفوّهت به منذ قليل ما هو إلاّ ترّهات وخزعبلات لا أساس لها من الصّحة... فهنا سيداتي وسادتي حيث تقفون الآن تقع أنقاض وأطلال القرية العربية الفلسطينية صرعة... التي نكبت وهُجر أهلها".⁽¹⁾

تعبر وقفة وحيرة نور على تشتت انتباهه وتضارب مشاعره بين الحلم والحنين والرّهبة والخوف والانعقاد، فاستجمع نور قواه واستدار حول نفسه ملهوفًا ينظر يمينا و يسارا وكأنه يبحث عن شيء فقده منذ زمن ليتسلّق ويصل إلى أعلى جدار المقام ليرتفع صوته إلى الذروة. لم يكن خطابه مجرد خطاب عادي، بل كان عبارة عن شعور كان مكبوتا بداخله، وهو حبه لوطنه ويُخبر السياح بأن هذه الحقائق لا أساس لها من الصّحة، بل تعود إلى فلسطين وأن اليهود حاولوا تشويه الحقائق، بأن أقاموا كيانا دخيلا على أرض شريفة طاهرة ويشهد التاريخ على ذلك.

⁽¹⁾الرواية: ص66.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

يعيش حالة من الدهشة والحيرة والضياع لفترة طويلة، فيلاحظ "أور" في "نور" حالة من الحنين والشوق وكأنّ ذكرياته بوطنه وحنينه له قد بدأت تتفتح وتظهر من جديد وأن "سما" لم تكن مجرد قناة، بل جسر تربطه بوطنه فسما أعادت له شيء قد فقدته لتأتي وتذكره به.

ومن الحقائق الدالة على حب الوطن والاعتزاز نجد اعتراف نور لسما بأصوله العربية الفلسطينية: "أجابها بصوتٍ مجروح، متوسلاً مصرّاً على حقه بالعربية: كلا أرجوك... صدّقيني، أنا عربي فلسطيني لاجئ وأسكن مخيماً في رام الله أصلي من اللد".⁽¹⁾

اعتراف نور بصوتٍ مجروح يحمل ألقاً داخلياً يظهر فيه انكسار ممزوج بنبرة الاصرار، التي تنم عن مشاعر القهر والحرمان والتمسك بالحق، وإخبار "سما" بأنه لاجئ يعاني من الحرمان يعيش في مخيم أجبره الاحتلال الصهيوني على ترك أرضه والإقامة فيه، وهذه حقائق ودلائل على حبّ الوطن واشتياقه له، لأنّ الوطن غالٍ لا يُعوّض بثمن.

ولذلك ارتبط حب الوطن بالتمسك والارتباط الوثيق بالهوية العربية والإسلامية، التي تجسدها مختلف الشخصيات في الرواية، فكانت النزعة النضالية والصمود والصبر على القهر والاستعباد، والتشبث بالأرض رغم تكالب بني صهيون على كل شبر منها، كلها كانت مظاهر لحب الوطن والتمسك به، ودفع الغالي والنفيس لأجل نصرته وتحقيق سيادته. فكان ولازال الشعب الفلسطيني شعباً بطلاً مناضلاً ومقاتلاً ومجاهداً للقوى الصهيونية، واقفاً لها بالمرصاد، متشبهاً بأرضه رغم كل المعاناة التي يتلقاها.

ثانياً: تجليات الموروث الثقافي في رواية قناع بلون السماء لـ "باسم خندقجي":

(1) الرواية: ص 223.

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

يمثل الموروث الرصيد الحضاري العميق الذي يخترن في أعماقه خلاصة التجارب الإنسانية المتركمة، في شتى مجالات الحياة. إنه واسع وشامل، يتداخل فيه الثقافي والاجتماعي، ويتقاطع فيه الرمزي والمادي، حتى يغدو صورة متكاملة للوجود الإنساني كما عاشه سابقينا. فالموروث ليس مجرد رواسب ومخلفات الماضي، بل هو مادة غنية بالتجربة والحكمة تنبض بما خلفته الأجيال السابقة من منجزات، وأفكار وأساليب عيش وممارسات حياتية إنه يعكس استمرارية ثقافية طويلة، تمتد عبر الأزمنة وتنتقل بين الأمكنة فتربط الماضي بالحاضر، وتشكل هوية الشعوب وذاكرتها الجماعية.

وإذا تأملنا هذا التراث، وجدنا أنه سجلٌ حيٌّ لحياة الإنسان، مليء بالأعمال والممارسات والطقوس التي كانت جزءًا من يومياته، فترك من خلالها بصماته واضحة في الذاكرة الثقافية، ويمكن أن نلمس هذا الحضور التراثي في كثير من التفاصيل و لعل أبرزها الأزياء الشعبية، أو الشخصيات الشعبية والتاريخية أو نصوص دينية ومخطوطات تاريخية أو الأغاني والمرويات الشعبية والتقاليد الراسخة والضاربة في عمق التاريخ، وكذا الأحداث التاريخية والأعمال الأدبية الراسخة والمتوارثة لتمييزها وتأثيرها المستمر عبر الأجيال المتلاحقة، وغيرها من مختلف مجالات التعبير الإنساني، ومن هنا يتجلى الموروث الثقافي في عدة أنواع منها:

1- الموروث التاريخي: يشكل الموروث التاريخي مصدرًا غنيًا، وركيزة أساسية استند إليها الأدباء، مُستوحين منه الأحداث والوقائع والشخصيات، ومعيدين تشكيلها في أعمالهم الأدبية بما ينسجم ومشاعرهم وتطلعاتهم ومعاناتهم، معبرين من خلالها عن قضايا مجتمعاتهم برؤية حديثة، ويرجع سبب توظيف الروائيين الرموز التاريخية إلى ربط أجيال الحاضر بجذورها السابقة، وفق

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

رؤية إنسانية حديثة تُبرز مشكلات الإنسان وآلامه وآماله وتطلّعاته، وبالتالي فعودة الأديب إلى التاريخ "تعدّ ثورة على الواقع ونضالاً في سبيل الموقف والمعتقد، ويكون التاريخ في هذه الحالة

المعين الذي يتفوّى به المبدع، ويشحن به همته بمواجهة الواقع المرير الذي يحياه".⁽¹⁾

تبتعد عودة الأديب إلى التاريخ عن فكرة الهروب أو التملص من الحاضر، بل هي فعل مقاومة واعٍ، وثورة رمزية على واقع مكلوم تتعطر فيه القيم وتخبو فيه الآمال، فالأديب حين يستحضر الماضي، يستلهم منه صفحات التاريخ، ولحظات المجد، ومواقف البطولة، ونماذج الصمود، ليجعل منها مرآة تعكس بؤس الحاضر وتفضح اختلال موازينه.

في هذا السياق، يتحوّل التاريخ إلى معين يستمدّ منه المبدع قوته الفكرية، فالإبداع في هذا الإطار لا يكون ترفاً جمالياً، بل هو نضال بالكلمة، وصوت من لا صوت لهم وبهذا المعنى، يغدو التاريخ ذاكرة حيّة، تسكن النص وتمنحه بُعداً الثوري والإنساني، ليصبح الأدب ذاته فعلاً من أفعال التغيير.

يمكن تقسيم الأحداث والوقائع في الرواية العربية إلى قسمين أساسيين، وهما: "أحداث السقوط حيث يعمّ الظلم والاستغلال، وتنتشر الفتن ويتعرّض المجتمع إلى هجمات الأعداء والهزائم، وإلى أحداث النهوض حيث يعمّ العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فيحقّق الشعب النصر على الأعداء".⁽²⁾

⁽¹⁾ جمال سفاري: استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر الجزائري المعاصر: فترة التسعينيات أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية،

جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، المجلد ب، ع 50، 2018، ص 120.

⁽²⁾ محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، دط، ص ص 213-

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

يعكس هذا القول وعي الرواية العربية بالتحويلات العميقة التي عاشها المجتمع العربي بين السقوط والنهوض، فمرحلة السقوط تُعبّر عن واقع يسوده الظلم والفتن والانكسارات التي تنال من كيان المجتمع وتُضعف مقاومته، أما النهوض، فهو لحظة استعادة الوعي والكرامة، حيث تسود العدالة ويتوحد الشعب في وجه الأعداء. هذا التقابل الثنائي لا يخدم فقط الجانب الفني، بل يحمل دلالة رمزية عميقة تجسّد الصراع بين الانحطاط والتحرر. ومن خلاله تتحوّل الرواية إلى مرآة للواقع، وأداة لإعادة تشكيل الوعي الجماعي.

كما تُصنّف الشخصيات التاريخية إلى ثلاثة أنواع تمثلت فيما يلي:

1- رموز الثورات والدعوات الإصلاحية: وهم أولئك الذين حملوا راية النضال والتغيير وسعوا إلى تحقيق قيم الحرية والعدالة.

2- الحكام والأمراء: هم الشخصيات السياسية والاجتماعية الذين جسّدوا مظاهر السلطة السياسية والاجتماعية في عصور مختلفة، وكان لهم تأثير مباشر في مجريات التاريخ.

3- الخلفاء والقادة العسكريون: الذين لعبوا أدوارًا مفصلية في إدارة شؤون الدولة وقيادة الحروب، وأسهموا في رسم معالم التاريخ الإسلامي والعربي.

وبما أن الموروث الثقافي التاريخي لقي اهتمامًا كبيرًا من قبل الأدباء المعاصرين، فقد كانوا يُوظّفونه في الرواية العربية المعاصرة، وذلك عن طريق استحضار الوقائع والشخصيات التاريخية، حيث يقوم الأديب بتوظيف الشخصيات المتعددة المرجعيات، وسرد أحداث محورية من التاريخ. وقد وُظف "باسم خندقجي" صاحب الرواية "قناع بلون السماء" شخصيات من التاريخ

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

المسيحي لا بوصفها مجرد رموز دينية بل كعناصر سردية مثل: مريم المجدلية، يسوع، بطرس، ويوحنا ونجد ذلك في قوله: "ستكون المجدلية بطلتي الرئيسيّة وإلى جانبها عدد من التلاميذ والرسل، أهمّهم بطرس ويوحنا ولاوي ... بعد صلب يسوع وظهوره الأوّل في رؤيا لمريم المجدلية".⁽¹⁾

في هذا المقطع من الرواية، يوظّف الكاتب الموروث التاريخي المسيحي لإضفاء عمق زمني وواقعي على البناء السردية، حيث يستدعي شخصيات معروفة من التاريخ الديني مثل مريم المجدلية، وبترس ويوحنا ولاوي، فنظهر مريم المجدلية في دور محوري كبطلّة للرواية وهو ما يعكس إعادة قراءة تاريخية سردية لدورها الذي طالما همشته التأويلات التقليدية، كما أن التركيز على لحظة " تعيين الزمن والتاريخ " بعد صلب يسوع يُعيد بناء مرحلة حساسة ومفتاحية في التاريخ المسيحي، وهو حدث تاريخي ديني له مكانة خاصة لأنه شكّل انطلاقة جديدة للإيمان المسيحي بعد لحظة الصّلب.

ثم يستحضر الراوي من الرواية عدد من المخيمات الفلسطينية التي ارتبطت بمجازر ووقائع دموية في الذاكرة الجمعية، مثل: تل الزعتر، صبرا، شاتيلا، جنين، والشاطئ، حيث تتحوّل أسماء هذه المخيمات من مجرد أماكن جغرافية إلى رموز تاريخية تختزل معاناة شعب بأكمله، حيث يُعيد السارد تشكيل وعي القارئ بالتاريخ من خلال المقارنة بين المخيم الفلسطيني "والفيتو اليهودي" في أوروبا، ثم يطرح سؤالاً ساخراً: "هل سيغدو المخيم بعد سبعين عامًا أحد أكبر المواقع الأثرية التاريخية؟".⁽²⁾

⁽¹⁾الرواية: ص13.

⁽²⁾الرواية: ص16.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

في إشارة منه إلى احتمالية تحوُّل المخيم ذاته إلى أثر تاريخي، لا يُخلد فقط مكانًا بل يُوثق وجهًا من وجوه الظلم البشري، بهذه الصيغة يُعاد بناء المخيم كمساحة للتاريخ والمقاومة والهوية، ويُوظف كأداة سردية لإدانة الحاضر واستعادة التاريخ المنسي.

وقد استرجع الراوي حدثًا مفصليًا في التاريخ العربي تمثل في الإشارة إلى معركة "عين جالوت"، كما في قوله: "في معركة عين جالوت التي وقعت بين جيوش المماليك والمغول، قبل أكثر من ثمانمائة عام على أطراف سهل مرج بن عامر، حيث عُثر على الهيكل في تجويف صخري".⁽¹⁾

يذكر الكاتب معركة عين جالوت التي تمثل حدثًا تاريخيًا مشهورًا في التاريخ الإسلامي حيث انتصر فيها المماليك ونجحوا في إيقاف زحف المغول، الكاتب يستخدم هذا الحدث ليظهر لنا كيف أن الأرض التي شهدت القتال كانت أيضًا تحمل شيئًا أعمق، وذلك حين قال: "عُثر على الهيكل في تجويف صخري" هذه العبارة توحى بأن المعركة لم تكن مجرد صراع عسكري، بل كانت فوق أرض تُخفي رموزًا من التاريخ أو آثارًا حضارية. "الهيكل" قد يشير إلى معلم أثري أو ديني، مما يربط بين الحرب والتاريخ والتراث.

لا يظهر الموروث التاريخي في رواية "قناع بلون السماء" بوصفه مجرد خلفية زمنية لأحداث الرواية، بل يشكل بنية دلالية فاعلة تحرك الأسئلة الكبرى التي يطرحها النص حول الهوية، والمقدس والسلطة والذاكرة الجماعية.

استثمر "باسم خندقجي" المادة التاريخية لا ليمجدها أو يعيد إنتاجها، بل ليفككها ويكشف ما بُني داخلها من تناقضات وصراعات.

⁽¹⁾الرواية: ص 137.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

فالتاريخ في الرواية ليس ما كُتب، بل ما يُعاد تأويله داخل الوجدان، وما يتداخل مع التجربة اليومية في شكل رموز، ومواقف، وشخصيات تقف على حافة الحقيقة والخيال. اكتسب الموروث الثقافي في بعده التاريخي من خلال الرواية موضوع الدراسة بعدا جدليا، حيث قدمت أحداثها صورة عامة حول المكون الإيديولوجي والأنثروبولوجي لأقدم حضارة عربية في التاريخ الإنساني، لما تحمله من قيم راسخة وتراث مادي ومعنوي ينبض بالتاريخ والإنسانية، ويحكي عمق الحضارة العربية والإسلامية.

2- المورث الديني:

يعدّ المورث الديني من أبرز مصادر التّراث الذي اعتمدت عليه الكثير من الرواية، وتنوعت مصادره بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية بالإضافة إلى القصص القرآنية والشخصيات الدينية والأماكن المقدسة، ولا يقتصر هذا الشكل من الموروث على الإسلام فحسب، بل يتضمن ديانات أخرى كالديانة اليهودية وكتبها المعتمدة المتمثلة في التوراة والتلمود، وكذلك الديانة المسيحية كتابها المقدس بشقية "العهد القديم والعهد الجديد".

لاستلهم الروائي بالموروث الديني بمختلف مصادره ووظفه في ثنايا الرواية، وإن دل هذا على شيء إنّما يدل على مدى أهمية هذا الموروث في ترسيخ القيم الروحية والأخلاقية وهذا ما سعت إليه رواية "قناع بلون السماء" من خلال خلق توازن بين قداسة التراث وأسئلة الحاضر، ففي الفصل الأول يوظف الكاتب هذا الموروث بشكل كثيف وواعٍ، ليكون مدخلا سرديا ومعرفيا في آن واحد، حيث يبدأ الكاتب بتاريخ البطاقة الصوتية "الاثنين 19 نيسان 2021، فجر السابع من رمضان".⁽¹⁾

⁽¹⁾الرواية: ص11.

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

وهو ليس تاريخاً عابراً بل يحمل دلالة روحية حيث تشير إلى شهر رمضان كرمز ديني تتجلى فيه القيم الروحية و التأملية والطقوسية مثل: الصوم، القيام، القرآن، مما يضفي على الحدث الروائي هالة من القداسة، كما أنّ وضع التاريخ الميلادي إلى جانب الهجري يظهر كيف يربط الكاتب بين الماضي الديني والواقع الذي نعيشه اليوم، وخاصة واقع الأسرى الفلسطينيين، بها الشكل ينجح "خندقي" في التوفيق بين القداسة الموجودة في الدين والأسئلة والهموم التي يعيشها الفلسطينيون.

و"الموروث الديني": "هو توظيف النص الديني بمصادره القرآنية التوراتية والانجليزية بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف والتراثل الدينية والفكر الديني... وقد وظفته الرواية المعاصرة بمستويات متعددة، كوظيفة البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية، وتصوير شخصية البطل وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية، بالإضافة إلى التنوع في إدخال النصّ الديني في الرواية"⁽¹⁾.

يشير القول إلى أن الرواية العربية لم تكثف بتكرار الموروث الديني أو استحضاره بصورته التقليدية، بل سعت إلى إعادة تشكيله وتوظيفه بشكل يخدم قضايا معاصرة، فالرواية لم يعودوا يستخدمون الشخصيات الدينية لمجرد الإحالة إلى الماضي، بل صاروا يعيدون بناء هذه الشخصيات في سياقات جديدة، دون المساس بقداستها.

كما يظهر من هذا التوظيف أنّ الرواية أصبحت مجالاً للتفكير في الهوية الدينية، وهكذا يتّضح أن الموروث الديني في الرواية المعاصرة لم يعد عنصراً جامداً، بل أصبح أداة فنية وفكرية لإثارة الأسئلة ومواكبة التحوّلات.

⁽¹⁾ محمد رياض وتار: توظيف الرواية العربية المعاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2002، ص141.

الفصل الثاني ——— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ومن أكثر الشخصيات إثارة للجدل في التراث المسيحي شخصية "مريم المجدلية" التي أولى الكاتب اهتمامًا خاصًا بشخصيتها، حيث لم يعرضها كشخصية دينية ثانوية كما تُقدّم في كثير من النصوص، بل منحها عمقًا إنسانيًا ورمزيًا، أفقد أعاد تشكيل صورتها بطريقة النظرة التقليدية، ليقدّمها بوصفها رمزًا للمرأة الباحثة عن الحقيقة والحرية الروحية.

يكشف هذا التوظيف عن رؤية حديثة تُعطي للمهمش صوتًا، ومن خلال مريم المجدلية يطرح الكاتب أسئلة حول الإيمان، والخلاص، والهوية النسائية، في سياق سردي يُعيد التفكير في موقع المرأة ضمن الموروث الديني والتاريخي. وهكذا تتحوّل المجدلية من رمز تقليدي إلى شخصية روائية حيّة.

وقد استهل الكاتب "خندقجي" روايته بقوله: "إثر فشلي الذريع ومحاولاتي اليائسة في تقصي وإثبات السيرة التاريخية لمريم المجدلية إبّان كرازة يسوع الناصري ابن مريم في فلسطين الرومانية"⁽¹⁾.

يُعبّر السارد عن شعور عميق بالفشل واليأس في محاولة فهم سيرة مريم المجدلية من الناحية التاريخية، وهنا يظهر أثر الموروث الديني بشكل واضح؛ فمريم المجدلية ليست شخصية عادية، بل هي من أهم الشخصيات في القصص الديني المسيحي، وقد ارتبط اسمها بالتوبة والإخلاص، لكنها ظلت غامضة ومثيرة للجدل، ممّا يجعل البحث في تاريخها الحقيقي أمرًا صعبًا. كما أن التعبير عن "يسوع الناصري ابن مريم" يحمل في طياته رؤية إسلامية، لأن القرآن هو الذي يستخدم هذا الوصف تحديدًا في إشارة إلى بشريّة المسيح ونبوءته، خلافًا لما تقول

⁽¹⁾الرواية: ص11.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

العقيدة المسيحية التي تعتبره ابن الله. أيضًا، ذكر "فلسطين الرومانية" يُظهر أنّ هذا الحدث الديني وقع في زمن الاحتلال الروماني، ممّا يربط الدين بالتاريخ والسياسة.

ولعل أبرز ملامح تجليات الموروث الثقافي الديني استخدام الكاتب التناص الديني، وذلك من خلال تضمين أو استحضار نصوص دينية من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، وغيرها من النصوص الدينية في النص الروائي، يهدف الكاتب من خلال هذا التناص إلى إضافة دلالات جديدة للنص الروائي، وإثراء المعنى، وتعميق الرؤية الفكرية والدينية، فنجد في إحدى الرسائل التي يعيها مراد إلى نور، التي تحمل دلالة دينية مباشرة: "رحلة الشتاء والصيف".⁽¹⁾ إذ تستدعي هذه العبارة الآية القرآنية: ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ، إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.⁽²⁾

ومن هنا يحوّل السارد هذا التعبير من دلالة التجارية القبلية إلى صورة وجدانية روحية، تعبّر عن تضحية الأم وصبرها في سبيل رؤية ابنها، فالأم هنا تمثل ذلك الكائن الذي لا يكل ولا يمل، والذي يجعل من معاناته رحلة مستمرة تشبه الرحلات الموسمية في طقسها وتكرارها وثباتها، فلا يستحضر الموروث الديني كخلفية ثقافية فقط، بل كوسيلة لتقديس الرابط بين الأم والابن، وتصوير حبها بوصفه عبادة صامته تمارسها بصبر من خلف الزجاج، وبهذا يتحول التناص الديني إلى أداة شعورية رقيقة تضي على النص عمقا إنسانيًا، وتكسبه دلالات جمالية وشعرية تكسر رتابة السرد، وسلطة المواقف والواقع.

⁽¹⁾الرواية: ص 18.

⁽²⁾القرآن الكريم: سورة قريش، الآية 1-2.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

وفي موضع آخر من الرواية يقول الكاتب: "كان الشيخ مرسي يقبض بيده سبحة حباتها من عقيق، خاشعا بتسبيح الله واستغفاره إلى أن حان موعد الأذان"⁽¹⁾، وهنا يتجلى الموروث الديني بوضوح من خلال الصورة التي تجمع بين الطقس اليومي (الذكر والتسبيح)، وبين الرموز الدينية العميقة، فالسبحة هنا ليست مجرد أداة، بل رمز للاتصال الدائم بالله، أما كونها من "عقيق" فهو اختبار ذو دلالة دينية وروحية، إذ يُعد العقيق من الأحجار الكريمة المباركة في الموروث الإسلامي، فالسبحة والعقيق والتسبيح، كلها رموز تعبّر عن نوع من التصوّف البسيط، وتوضح طقوسا صوفية لها أبعادا عميقة، ذات دلالات وإيحاءات رمزية عميقة الدلالة.

تبرز هذه الدلالات التعلّق بالأذكار اليومية التي تُدخل الطمأنينة إلى النفس، كما أن الشيخ مرسي، في هذا السياق، يتحول إلى بؤرة روحانية داخل الرواية، يُعادل في هدوئه وصمته ما تمرّ به شخصيات أخرى في الرواية من توتر وضياح. وهذا التوازن يعطي البناء السردي للنص دلالات أبعاد مختلفة، إذ يُقابل بين العالم الداخلي الهادئ للشيخ، وبين عوالم القلق والواقع المشوب بمعاناة وضغوط أدت بالكثير إلى البحث عن ملاذ للهروب من الواقع والحلم بمستقبل أجمل.

(1) الرواية: ص 92.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

كما أنّ هيئة الشيخ الخاشعة وهو يردّد التسييح والاستغفار حتى موعد الأذان تُجسّد صورة المسلم الورع المتّصل بالذّكر، والذي يملأ وقته بالعبادة في انتظار لحظة التّداء الإلهي. حيث يتحوّل الزمن إلى فسحة روحية، وتتداخل الطقوس البسيطة مع قدسية الإيمان.

كما وظّف الراوي التناص الديني في عبارات كثيرة من الرواية، نجد منها عبارة وصيّة إدريس النبي: "يا ذا الجلال...موقفًا للخير كلّه".⁽¹⁾

تحمل هذه العبارة تناصًا دينيًا صريحًا من النص القرآني، وبالتحديد في قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا ورفعناه مكانًا عليًا﴾⁽²⁾

فإدريس عليه السلام في الموروث الإسلامي هو نبي جليل يرمز إلى العلو الروحي والإصطفاء الإلهي، لكنّ التناص لا يقف عند حدود الذكر القرآني، بل يتعمّق من خلال استحضار صورة إدريس في تصوّف الإسلامي، حيث يُعد رمزًا للعلم الديني والمعرفة الباطنيّة.

وفي عبارة أخرى يتجلّى فيها التناص الديني: "ادعوه عند دخولكم إلى رحاب الصخرة، معراج السماء".⁽³⁾

حيث يستحضر الكاتب حادثة الإسراء والمعراج، وهي من أبرز الأحداث في الموروث الإسلامي. فـ "الصخرة" ترمز إلى الصخرة المشرفة في بيت المقدس، التي يُعتقد أنها موضع عروج النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- إلى السماء. أما عبارة "معراج السماء" فهي تُوحى بالصعود

⁽¹⁾الرواية: ص 129 .

⁽²⁾القرآن الكريم: سورة مريم، الآية 56-57 .

⁽³⁾الرواية: ص 129.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الروحي والتطهر، إذ تتحول الرحلة النبوية هنا إلى رمز للتقرب من الله، كما أن فعل "ادعوه" يربط المكان المقدس بالفعل التعبدية، فيمنح العبارة بعداً روحانياً عميقاً، ويضفي على النص طابعاً قدسياً يشحن فيه المكان بالرمزية والإيمان ويمنح القارئ شعوراً بالرهبة والتأمل.

يظهر الموروث الثقافي الديني في أحد المشاهد ذات البعد الديني والعقائدي، عندما يصف السارد "نور" وهو يتفقد "أم مراد" قبل بدء يوم الصيام فيقول: "ينفقد نور قبل المسير، يسألها عن صحتها وإذا ما كانت قد تسحرت جيداً قبل الإمساك عن الطعام والشراب والشروع بالصيام".⁽¹⁾

يُحيل هذا المقطع مباشرة إلى شعيرة الصيام في الإسلام، ويُظهر طقساً دينياً يُمارس في شهر رمضان، وهو "السحور" الذي يُعدّ سنة مؤكدة عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، كما أن عبارة "الإمساك عن الطعام والشراب والشروع بالصيام" تشير إلى الأحكام الدينية المرتبطة بفريضة الصيام كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن خلال هذا الوصف، يُوظف الكاتب الموروث الديني بوصفه جزءاً من الحياة اليومية للشخصيات، مما يمنح السرد واقعية روحية، ويُظهر كيف تتجدر العبادات في تفاصيل العلاقات الاجتماعية والأسرية.

كما يُوظف الكاتب شهر رمضان بوصفه مرآة تعكس التحولات القيمة لدى الشخصية إذ يعد تخلي نور عن شعائره الدينية، وعلى رأسها الصيام، دلالة على تصدع البنية الروحية داخله، وابتعاده المطلق عن الدين الإسلامي. يقول السارد: "ومنذ ذلك المساء الكارثي، لم يعد نور على قيد الالتزام بصيام شهر رمضان".⁽²⁾، وبعد تخلي نور عن الصيام دون عذر أو ترخيص خروجاً عن تعاليم الدين الإسلامي، وهنا حين يصبح التخلي عن صيام رمضان علامة فارقة على التحول

⁽¹⁾الرواية: ص 18

⁽²⁾الرواية: ص 21.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الروحي والقيمي في شخصية نور فالصيام في الدين الإسلامي ليس مجرد عبادة بل شعيرة ترتبط بالتقوى والسمو الأخلاقي، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾

ومن هذا المنظور، فإن انقطاع نور عن الصيام بعد تلك "الليلة الكارثية" لا يُعبر فقط عن تراجع التزامه الديني، بل يُكشف عن انفصال تدريجي عن المنظومة الروحية التي كان ينتمي إليها، حيث أنفي التراث الإسلامي يُنظر إلى من يترك صيام رمضان عمداً دون عذر، على أنه ابتعاد عن جوهر الإيمان.

وفي موضع آخر من الرواية يقول الراوي: "ثم أخرج من جيب صغير في حقيبتة قلادة نجمة داود الذهبية، وارتداها وخبأها تحت ياقة قميصه".⁽²⁾

يُعبّر الكاتب عن جانب ديني ورمزي في شخصية "نور"، فنجمة داوود هي رمز معروف في الديانة اليهودية، وترتبط بالإيمان والالتزام، فارتداء نور لهذه القلادة يدل على تمسكه بجزء من هويته الدينية أو الثقافية، لكنه يُخفيها في الوقت نفسه، وهذا يُظهر الصراع الداخلي الذي يعيشه بين ما يشعر به، وما يستطيع إظهاره للناس، فالقلادة في الرواية لا تُوظف فقط كقطعة زينة بل كأداة سردية ذات بُعد سياسي ورمزي تعكس ازدواجية الهوية.

⁽¹⁾ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 183.

⁽²⁾ الرواية: ص 97.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

وللمساجد قداسة عظيمة في البلاد المسلمة لأنها بيوت الله، وقد كان للمسجد حضوراً قوياً في الرواية لا كمكان موصوف بل حضور قداسته في قلب كل واحد: "ويُوظف المسجد في النصوص السردية على أنه بنية ذات أثر إيجابي في توجيه السلوك وتهذيبه".⁽¹⁾

وتُشير الرواية "قناع بلون السماء" إلى المسجد الأقصى في قول الكاتب: "ألن تصطحبني معك للصلاة في المسجد الأقصى، فأنا مشتاق كثيراً لزيارة الحرم؟".⁽²⁾

تظهر ملامح الموروث الديني الإسلامي في هذه العبارة من حيث تتقاطع رمزية الصلاة كأحد أركان الإسلام، مع المسجد الأقصى الذي يحتل مكانة مركزية في العقيدة الإسلامية بوصفه أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء والمعراج. كما تُشير عبارة "زيارة الحرم" إلى تقليد ديني راسخ في المخيال الإسلامي، يرتبط بمكانة العتبات المقدسة حيث يُنظر إلى الحرم كفضاء للبركة والقرب من الله ويُعبّر الشوق إلى هذه الأماكن عن حالة للبحث عن الذات عبر العبور إلى المقدّس.

يتضح من خلال هذا التحليل أن الموروث الديني لم يكن مجرد خلفية ثقافية أو عنصراً ثانوياً في الرواية، بل كان له دوراً محورياً في تشكيل البنية الرمزية والفكرية للنص. فقدمكن هذا الموروث الكاتب من التعبير عن قضايا إنسانية عميقة من خلال رموز ذات دلالة روحية وتاريخية، مثل المسجد الأقصى، الحرم، شهر رمضان، وصلاة التراويح... الخ، ومن خلال هذه الإشارات استطاع النص أن يفتح على أبعاد تتجاوز الواقع، ليصل إلى فضاءات التأمل والبحث عن المعنى، وهكذا يمكن القول إن أهمية الموروث الديني في الرواية تكمن في قدرته على إغناء

⁽¹⁾ واسيني الأعرج: كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر العاصمة، نوفمبر، ط1، 2004، ص45.

⁽²⁾ الرواية: ص110.

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

النص معنويًا وجماليًا، وتعميق تجربة القارئ عبر استدعاء ما هو مقدّس، ومؤثّر في الوعي الفردي والجماعي.

3- الموروث الشعبي:

يشكل الموروث الشعبي أحد أبرز ألوان التراث إذ يعد ركيزة ثقافية وإنسانية تعبر عن تطلعات الناس وآمالهم ومعتقداتهم، ويشمل جوانب الحياة الشعبية في مختلف مراحلها: ماضيا وحاضرا ومستقبلا وليس ذلك بغريب، فمصدره هذا الموروث ومنبعه هو الشعب ذاته، الذي يجسد روح الأمة وذاكرتها الحية، فالتراث الشعبي مصدره: "هو الشعب الذي يمثل جميع أفراد الأمة سواء كانوا عمالا أو فلاحين أو رعاة، رجال أعمال أو جنود، محامين أو أساتذة جامعيين".⁽¹⁾

هذا يعني أنّ الشعب لا يقتصر على فئة معيّنة من الناس بل يشمل كل أفراد الأمة مهما كانت مهنتهم أو طبقاتهم الاجتماعية، فالعامل والفلاح والراعي مثلهم مثل رجل الأعمال والجندي والمحامي والأستاذ الجامعي، كلّهم يعتبرون جزءا من الشعب، وكل فئة تمثل مصدرا للتراث الشعبي وأداة فاعلة في إنشائه وتوليدته.

ينقسم الموروث الشعبي في الرواية إلى قسمين: الموروث الشعبي المادي الذي يتمثل في اللباس التقليدي والأكل الشعبي والأماكن الشعبية، والموروث الشعبي اللامادي الذي يتمثل في الفنون الشعبية من أمثال وحكم وسير شعبية وأغاني وأشعار شعبية وحكايات، والعادات والتقاليد الاجتماعية والمعتقدات الشعبية... الخ والتي تنتقل عن طريق الإرث من جيل إلى جيل عبر الأزمنة والعصور.

⁽¹⁾ محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، الناشر، مكتبة الأسرة، ط1، 2006، ص26.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

لقد برزت تجليات الموروث الشعبي في رواية "قناع بلون السماء" فساهمت في تعميق الطرح السردى، والرؤية وإضفاء طابع المحلي على الأحداث و الشخصيات من خلال بعض الطقوس أو الصور الرمزية التي عكست حرص الكاتب على استحضار الذاكرة الجماعية في الرواية وتعدّ الأكلات الشعبية جزءاً مهماً من الهوية الثقافية الفلسطينية حيث تحمل في طياتها تاريخاً عريقاً وتجربة حياتية غنية فهي لا تقتصر على الطعم الشهى فحسب، بل تعبر عن ارتباط الشعب الفلسطيني بأرضه وموروثه، ومن خلال هذه الأطعمة، يمكننا التعرف على روح المجتمع الفلسطيني وعاداته الأصيلة.

يقول الراوي: "حيث يقوم مراد بدعوة نور إلى وليمة رمضانية فاخرة تتدل على مائدتها أكلته المفضلة أوراق العنب المحشوة بالأرز ولحم الضأن".⁽¹⁾

وهنا تبرز إحدى مظاهر الموروث المادي كالأطعمة التقليدية الشائعة في المطبخ الفلسطيني والشامي، وتشكل جزءاً من الهوية الشعبية التي تتناقلها الأجيال، فالطعام هنا لا يقدم بوصفه المادي فقط، بل كرمز ثقافي يعبر عن قيم الضيافة والكرم، ويستدعي حضور الجماعة والحنين إلى الأصول، كما أن طقس الوليمة الرمضانية يحمل دلالات شعبية، إذ يعكس العادات المتوارثة في شهر رمضان، حيث تجمع العائلة والمجتمع حول مائدة واحدة، وهذا ما يحيل إلى نوع

⁽¹⁾الرواية:ص19.

الفصل الثاني ——— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

من التلاحم والترابط والهوياتي ذات الأبعاد الإنسانية، هذه العادات التي ترسخ قوة وتماسك الشعب الفلسطيني، كغيره من الشعوب العربية الأخرى.

وفي موضع آخر يقول الراوي: "لم تنجب خديجة رغم محاولات الجدة الشعبية والسحرية والطبية والدينية"⁽¹⁾، وهذا ما يحيل إلى العادات والتقاليد الفلسطينية التي تدعو إلى التثبيت بالأرض من خلال تواصل واستمرار النسل البشري، إذ يتجلى الموروث الشعبي بوصفه بنية ضاغطة تحاصر الجسد الأثوي وتختزل كينونته في الوظيفة الإيجابية، فيستدعى هذا الموروث عبر تمثيلات متعددة، تبدأ من محاولات الجدة الشعبية التي تحيل إلى سلسلة من الطقوس العائلية الموروثة كالتمايم والتبخيرات، والوصفات العشبية، بما يعكس سلطة المرأة العجوز حارسة التراث الأثوي الشفهي، ثم تتصاعد مستويات التدخل إلى "السحرية" في إشارة إلى اللجوء للقوى الغيبية والشعوذة كامتداد لاعتقاد راسخ بوجود علل غير مرئية وراء العقم، غير أن التداخل بين الشعبي والديني يظهر جليا في "المحاولات الدينية"³.

حيث تمارس طقوس كزيارة الأضرحة والندور باسم الدين، لكنها مشبعة بروح المعتقدات الشعبية إن هذه المحاولات من الشعبي إلى الديني مروراً بالسحري والطبي لا تمثل فحسب إخفاقا فرديا لخديجة في الإنجاب، بل تكشف عن إخفاق المجتمع في التحرر من بنياته التقليدية التي تحمل المرأة وحدها عبئ الخصوبة وتحيل العقم إلى أزمة طبية لا تفسر إلا عبر الوصفات الشعبية.

(1) الرواية: ص 32.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

كما تجلت الحكاية الشعبية ملامحها في الرواية باعتبارها "جزء من التراث العظيم الذي عرفته المجتمعات العربيّة منذ القديم ولا زالت تحتفظ بروبقها وبهائها إلى اليوم".⁽¹⁾

هذا يعني أن الحكاية الشعبية تشكل جزءاً جوهرياً من التراث الثقافي العربي هو الذي جعلها لا تفقد سحرها رغم تعاقب الأجيال ظلت محتفظة بقيمتها الفنية والتربوية.

وقد حضرت شخصية الجدة في الحكاية الشعبية وشكلت محورا أساسيا في عملية السرد لما تنقله من حكايات مليئة بالحكمة والمغزى، مما منحها مكانة مميزة في الوعي الجمعي .

برزت شخصية الجدة سمية في رواية قناع بلون السماء فهي تمثل الذاكرة الحية والرواية الشعبية داخل البيت الفلسطيني، ويقول الراوي ولد نور مرة أخرى من صمت أبيه وعربة شايه وقهوته، فلجأ إلى جدته سمية التي رعته و ربتة و زودنه بحكايات اللذّ وأمه نورا إلى أن ماتت

سمية"⁽²⁾

والجدة في الثقافة الشعبية تمثل الذاكرة فهي حافظة التراث وناقلة الحكايات، التي تمثل رمزا للدفاء والانتماء، خصوصا في مجتمعات تعيش الاحتلال والشّتات، وذكر "حكايات اللذّ" يعكس ارتباط شعب بالوطن المفقود فاللذّ "مدينة فلسطينية قديمة" هي ليست مجرد مكان، بل رمز للذاكرة والحنين، فالحكايات هنا لا تؤذي وظيفة تسلية، بل تحمل بعدا سياسيا تربط

⁽¹⁾جنات زراد: بنية الاستهلال والاختتام في الموروث الشعبي الحكائي الجزائري، معارف القسم الثاني، دت، دط، ص 267.

⁽²⁾الرواية:ص37.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الجيل الجديد بماضيه وجذوره، و هذا ما يعكس ما يمكن تسميته بـ"المرجعية الحكائية" في المورث الشعبي الفلسطيني، بحيث تتحول المدن إلى شخصيات سردية تحفظ التاريخ الفلسطيني.

كما يحضر الموروث الشعبي في موضع آخر من خلال طقس رمزي تنسجه المخيلة السردية حول شخصية المجادلة في قول الراوي "كما تشير هذه المخطوطات إلى معلومات عن وصية المجادلة التي طلبت من مريدها قصّ صفائر شعرها وضمخها بما تبقى من الناردين الذي سكبته على يسوع، وحفظها في صندوق لحين نزول يسوع المخلص".⁽¹⁾

هذه الصورة تعكس توظيفاً شعبياً للدين، حيث تتحول رموز بسيطة مثل الشعر والعطر إلى أدوات لحفظ البركة والقداسة، كما أن الإشارة إلى المخطوطات تظهر كيف أن الموروث يروى عبر الأجيال في سياق شفهي وأساطيري.

يتضح من ذلك أنّ هذا الموروث يعيد النص إلى تشكيل الرموز الدينية في قالب شعبي يمزج بين القداسة، الذاكرة والجسد، في موضع آخر من الرواية يحضر الموروث الشعبي الفلسطيني في مشهد تقديم الطعام المكون من: "الكعك المقدسي المسمسم وزيت الزيتون".⁽²⁾

المعطر بالزعر البلدي وهو مشهد غني بالرموز الثقافية اليومية التي ترتبط بحياة الفلسطينيين البسطاء فالكعك المقدسي يعد من أبرز معالم المخبوزات التراثية، ويتصل بذاكرة المكان، خاصة في مدينة القدس أما زيت الزيتون والزعر، فهما مكونان رئيسيان في مائدة الفلاح الفلسطيني

⁽¹⁾الرواية: ص32.

⁽²⁾الرواية: ص88.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ويرمزان إلى الارتباط بالأرض والهوية والبساطة، إنَّ هذا التصور لا يعبر عن الطعام فقط، بل يحاكي الحنين والانتماء والتشبث بالجذور الثقافية في وجه محاولات الطمس و التغريب.

والختان من الشعائر الدينية أو الثقافية التي أوصى بها الإسلام، فهي خاصة بالإنسان العربي المسلم التي تميزه عن باقي الشعوب والديانات الأخرى، كما أن الختان يعتبر نوعا من التقاليد العائلية، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- "الفطرة خمس الختان والاستعداد والختان، وقص الشارب ونتف الإبط، وتقليم الأظافر".⁽¹⁾ -رواه البخاري-

وبالعودة إلى الرواية نجد قول الراوي: "حين جاء وقت الختان، وفي اليوم الثامن، فرضت العادة أن يُختن الطفل، فختنوه أيضا في المغارة ..أعطي لك 3000دينار".⁽²⁾

يتجلى الموروث الشعبي في هذا المقطع من الرواية من خلال توظيف مجموعة من العناصر ذات الجذور العميقة في المخيال الجمعي، وأولها طقس الختان الذي يؤدي في اليوم الثامن وفق التقاليد اليهودية، ممَّا يمنح الحدث طابعا احتفاليا مقدسا متوارثا عبر الأجيال، غير أنَّ الطقس لا يقدم هنا

كمجرد ممارسة دينية، بل يتلبس بأبعاد رمزية وشعبية عبر ربطه بالمكان "المغارة" التي تحيل إلى فضاء غامض يتكرر حضوره في القصص الشعبية كموقع للانبعاث والتحول، ويبلغ حضور الموروث الشعبي ذروته مع دخول "اليهودية العجوز" وابنها "الصيدلي" فالعجوز تمثل "الحكيمة" صاحبة

⁽¹⁾صالح بن علي عراد: صورة للفطرة وآثرها التربوية في الحياة المسلم، 1426هـ، ص4.

⁽²⁾الرواية: ص114.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

المعرفة الشعبية بينما يمثل "الصيدلي" الامتداد العصري لهذه الحكمة في هيئة علمية، أما فعلها بأخذ الغلظة ووضعها في قارورة يكشف عن طقوس التبرك الذي عرفها المتخيل الشعبي منذ القدم، ويتعزز هذا البعد بموازاة الغلظة بعطر مريم المجدلية فيدمج النص بين الموروث الشعبي والديني والمسيحي، مشكلاً بذلك نسيجاً رمزياً كثيفاً ينقل طقس الختان إلى أفق يستدعي سلطة الخرافة والتبرك والرمز. وهكذا فإن حضور الموروث الشعبي في قناع بلون السماء منح الرواية روحاً خاصة إذ لم يكن مجرد خلفية ثقافية، بل جزءاً حياً من النسيج السردي من خلال الطقوس والشخصيات والعادات، استطاع الكاتب أن يحيى الذاكرة الجماعية ويجعلها تنبض في تفاصيل الحكاية، مضيفاً عمقاً إنسانياً ودالياً يقرب القارئ من جوهر التجربة الفلسطينية، ويعزز الارتباط بالأرض والتاريخ والهوية.

4- الموروث الأدبي:

حظي الموروث الأدبي بأهمية كبيرة لدى كتاب الرواية، ووظفوه في كتاباتهم من خلال تراحل النصوص الأدبية من شعر ونثر مع نصوصهم بحيث تكون هذه العناصر التراثية منسجمة مع النص، معبرة عن الأفكار التي يرمي إليها الكاتب "يشمل مصطلح الأدب النثر الفني والشعر الذي تحكمه معايير الامتياز عن الكلام العادي، وقيمة الأدب تكمن في تعبيره ذي الكثافة الخاصة المرهفة عن الحياة في معانيها المتباينة".⁽¹⁾

هذا يعني أنّ الأدب بوصفه نصّاً فنياً سواء كان نثراً أو شعراً يتميز عن الكلام العادي بمجموعة من الخصائص الجمالية والأسلوبية، فالأدب لا يستخدم لمجرد التواصل اليومي بل يخضع لمعايير خاصة تجعله أكثر عمقاً وتأثيراً مثل انتقاء الألفاظ وبناء الصور الفنية وتوظيف الرموز والدلالات، ومن أمثلة هذا النوع من الموروث نذكر: الأمثال، الحكم، القصص، الحكايات.

(1) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، دط، 1989، ص 11.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ولعلّ ليالي "ألف ليلة وليلة" كان لها حضورها الخاص في النص الروائي عند معظم الروائيين الذين أبدعوا من أجل توظيف هذا التراث الفني الذي يتماشى ورؤاهم الإبداعية والجمالية، كما يعبر عن واقعهم فـ: "أكثر ما يميّز حكايات ألف ليلة وليلة هو المزج بين التاريخ والأسطورة من جهة ومن جهة أخرى فهي تراث شعبي أدبي".⁽¹⁾

هذا يدل أنّ حكايات "ألف ليلة وليلة" تظهر خصوصيتها بوضوح من خلال دمجها بين وقائع التاريخ وعجائب الأسطورة، فهي لا تكتفي بسرد قصص خيالية، بل تدخل القارئ في عوالم تمتزج فيها الحقائق التاريخية بالخيال الشعبي، وهذا التداخل يمنح الحكايات طابعا سحريا يجعلها تتجاوز حدود الزمان والمكان، كما أن الحكايات تمثل نموذجا حيا للأدب الشعبي هذا ما يجعلها إرثا أدبيا غنيا، ومصدرا مهما لفهم الذاكرة الجماعية للمجتمعات الشرقية.

ويعدّ "باسم خندقجي" من الروائيين الفلسطينيين الذين احتفظوا بتوظيف الأسطورة في متونهم الروائية ففي رواية "قناع بلون السماء" نجد استحضاره الرمزي العميق لشخصية شهرزاد "ألف ليلة وليلة" والتي تحولت في الذاكرة الأدبية إلى رمز خالد للمرأة الحكيمة التي واجهت العنف الذكوري السلطوي بالحكاية ففي قول الراوي: "مثل شهرزاد التي صمدت أكثر من "ألف ليلة" في وجه الجلاد الشهرياري الذكوري، واجهته بحكاياتها".⁽²⁾

فالراوي هنا لا يكتفي بالاستشهاد بنموذج سردي من التراث، بل يعيد إنتاجه وتوظيفه بمنظور معاصر، يجعل من الحكاية فعلا وجوديا مقاوما، فشهرزاد بوصفها من أبرز الرموز الموروث الأدبي العربي لا تظهر هنا كشخصية أسطورية فقط، بل كأداة موازية لسارد تعكس صراعه مع واقعه تماما، كما كانت شهرزاد تواجه مصيرها الليلي بالمرآة السردية وهكذا تصبح

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ذط، 1417هـ / 1997م، ص171.

(2) الرواية: ص131.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

الحكاية أداة نجاة وليست فقط وسيلة تعبير، وفي هذا السياق يستثمر الموروث الأدبي لأبرز قدرة المرأة على إعادة تشكيل الواقع من خلال أدوات فنية مأخوذة من التاريخ الثقافي العربي، حيث تتحول الحكاية إلى مرآة للذات تحمل دلالة مزدوجة: تمجيد قوة الكلمة في الثقافة العربية من جهة، وتفعيلها في خطاب نسوي معاصر يعيد تشكيل الموروث الأدبي من جهة أخرى.

وفي موضع آخر من الرواية قناع بلون السماء: يستدعي السارد عبارة أخرى "الحكاية هي الكأس المقدسة"⁽¹⁾ باعتبارها إرثا غنيا من الرموز والتقاليد السردية في الموروث الأدبي، حيث شبه الحكاية بالكأس هذا التشبيه يعني أنّ الحكاية في نظر "خندقجي" ليس مجرد سرد للأحداث، بل هي أداة للنجاة والخلود، والكشف ووسيلة للخلاص من الواقع تماما كما فعلت شهرزاد في "ألف ليلة وليلة" حيث واجهت الموت بالحكي، هذا التوظيف للحكاية جعل من الكتابة شكلا من أشكال المقاومة الرمزية، والتشبث بالهوية والكرامة وسط العنف والقهر، كما أن الجمع بين رمز شرقي (شهرزاد) ورمز غربي الكأس المقدسة يعكس انفتاحا ثقافيا يثري النص ويمنحه بعدا إنسانيا.

يتجاوز المحلي نحو الكوني ليجعل من السرد قوة مقاومة ضد القمع والظلم الصهيوني. وفي موضع آخر يتساءل السارد "أليس هذا ما كان يتوخاه إلياس خوري"⁽²⁾

في روايته أولاد الغيتو؟ هكذا تساؤل نور في بوحه وهو يقبض يده على كيس يحتوي كتابين الأول فانون المخيلة ما بعد الكولونيالية لنايجل سي غبسون، ورواية "أولاد الغيتو... اسمي آدم"⁽¹⁾.

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 171.

(2) الرواية: ص 16.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

يتجلى الموروث الأدبي هنا من خلال استحضار الراوي لعمل أدبي معاصر يعد من أبرز النصوص التي تناولت النكبة والهوية واللغة في السياق الفلسطيني هذا الاستحضار لرواية أولاد الغيتو: اسم آدم لا يقتصر على الإشارة المرجعية، بل يظهر وعي الشخصية "نور" العميق بتقاطعات الأدب والتاريخ والواقع، ويوظف الرواية كمفتاح لفهم الذات الجمعية كما أن احتفاظه بكتاب "قانون والمخيلة بعد الكولونيالية" إلى جانب رواية "خوري" يكشف عن اندماج الأدب النقدي والفكري ضمن الموروث الأدبي الحديث حيث يتقاطع فكر "قانون" مع سردية "خوري" في نقد الاستعمار وآثاره على الهوية بذلك، يبرز هذا المقطع مثالا حيا على كيفية توظيف النصوص الأدبية والفكرية داخل المتن الروائي، بوصفها جزءا من الذاكرة الثقافية والموروث الأدبي.

كما أورد الروائي قولاً آخر للشاعر "محمود درويش" "السجن كثافة يا صديقي نور"⁽²⁾ يتجسد الموروث الأدبي في قول هذه العبارة من خلال صوت الشاعر "محمود درويش" وهي عبارة أطلقها في سياق تأمله في تجربة الاعتقال أثناء حنينه العميق إلى التفاصيل البسيطة كقهوة أمه وخبزها، هذه الإحالة لا تأتي على سبيل التزين، بل تعبر عن امتداد الوعي الجمعي الفلسطيني الذي يرى في تجربة السجن رمز المعاناة والصمود فبمجرد ذكر العبارة، يتم استحضار عالم درويش الشعري بما يحمله من شجن المقاومة وجمالية البساطة، ما يجعلها تشكل جسرا بين النص الروائي والموروث الشعري المقاوم، وهكذا تفعل الذاكرة الأدبية داخل الرواية، لتمنح السرد عمقا ثقافيا وتعكس كيف تتحول الكلمات إلى ميراث وجدانيا تتناقله الأجيال في لحظات الألم والحنين.

(1) الرواية : ص 23.

(2) الرواية : ص 23.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

ويستحضر الكاتب قول الكاتب ياسين واصفا اللغة الفرنسية إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر "غير أن الفرق بين كاتب ياسين ونور الشهدي، هو أنّ هذا الأخير لم يتعلّم العبرية من "فم الذئب" والمدارس العبرية، لقد تعلمها من الشوارع العبرية"⁽¹⁾.

في هذا المقطع تتجلى أبعاد الموروث الثقافي والأدبي من خلال الإحالة إلى كاتب الجزائري كاتب ياسين، الذي اعتبر اللغة الفرنسية غنيمة حرب خلال فترة الاستعمار، في إشارة منه على ما أفرزته التجربة الاستعمارية من صراع بين اللغة الأم ولغة المحتل، إنّ الإحالة إلى هذا الرمز الجزائري ليست مجرد تذكير بتاريخ أدبي، بل توظيف ذكي لتجربة استعمارية موازية تضيء من خلالها الرواية واقع الصراع اللغوي في السياق الفلسطيني غير أن المفارقة التي يبرزها السارد بين كاتب ياسين ونور الشهدي تمنح المقطع بعدا أكثر تعقيدا، إذ أنّ "نور" لم يتعلم العبرية في مؤسسات السلطة أو مدارسها، بل التقطتها من الشارع من خلال احتكاكه اليومي بالمجتمع العبري، وهذا الاختلاف يُبرز تحوّل العلاقة مع لغة "الآخر" من موقع لقهر إلى أفق الفهم والمقاومة الصامتة، حيث تُنتزع اللّغة من سياقها السلطوي وتُعاد توظيفها كأداة معرفة لا خضوع ما يمنح اللّغة بحدّ ذاتها ساحة من ساحات المقاومة.

وفي موضع آخر نجد قول الراوي: "أخرج الكتاين بسرعة ولهفة من الكيس: الأوّل "الحياة مفاوضات" لصائب عريقات، والثاني رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي" ثم أخذ يقرب الصفحات إلى أن عثر على رسالة بين السطور رواية مستغانمي رسالة خطّها مراد بخطها الأنيق الذي لا طالما حسده عليه نور"⁽²⁾.

(1) الرواية: ص 41.

(2) الرواية: ص 47.

الفصل الثاني ————— مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

يحضر الموروث الأدبي في هذا المقطع، من خلال استحضار كتابين ذو رمزية عالية "الحياة مفاوضات" ورواية "ذاكرة الجسد"، يمثل الكتاب الأول ملامسة للواقع السياسي الفلسطيني وتجربة التفاوض مع الاحتلال، بينما تمثل الرواية الثانية أحد أبرز الأعمال في الأدب العربي المعاصر، لما تحمله من بعد وجداني ووطني يجمع بين الحنين والحب والذاكرة إنَّ اللهجة التي أخرج بها نور الكتاين تم عثوره على رسالة كتبها مراد بين الصفحات رواية مستغامي تبرز كيف تتحول النصوص الأدبية إلى أوعية للرسائل الشخصية، وتجعل من الأدب فضاء لتبادل المشاعر وتخزين الذكريات، كما أن اختيار "ذاكرة الجسد" تحديداً يحمل دلالة عاطفية وجمالية فأسلوب مستغامي المعروف بشاعريته ينسجم مع طريقة البوح و الرسالة، في حين أنّ خط مراد الأنيق يعمق البعد الحميمي للعلاقة بين الشخصيات، بهذا يتجاوز الأدب دوره المرجعي، ليغدوا جزءاً من النسيج العاطفي والسردية، وجزءاً من الموروث الأدبي الذي يربط بين الفرد والذاكرة الجمعية.

وبهذا يتّضح أن الموروث الأدبي الرواية لا يستحضر بوصفه زينة لغوية أو مرجعية ثقافية فقط بل يفعل في خدمة المعنى والتجربة الإنسانية ليصبح جزءاً من النسيج السردية والفكري، يغني الشخصيات ويعمق المعاني ويربط الماضي بالحاضر من خلال استدعائه لأصوات من فضاءات متعددة، تتراوح بين الشعر والرواية، بين التراث والمقاومة، كما أن توظيف هذا الموروث لا يتم بشكل مباشر فحسب، بل يتسرب عبر اللغة، والشخصيات، والرموز والإشارات النصية، فحضور هذا الموروث يغني البناء السردية ويمنح العمل عمقا فكريا وجماليا يربطه بجذوره الثقافية وامتداداته التاريخية.

الفصل الثاني — مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"

بعد هذا المسار التحليلي في رواية "قناع بلون السماء" يتجسّد لنا حضوراً كثيفاً للموروثات الثقافية التي تشكّل البنية العميقة للنصّ وتُضفي عليه أبعاداً دلاليّة وجماليّة فقد تجلّى الموروث التاريخي في استدعاء النكبات والتحوّلات المفصليّة في التاريخ الفلسطيني واستحضار رموز كبرى من التاريخ العربي والإنساني ممّا يربط الماضي بالحاضر في سرديّة مقاومة، أمّا الموروث الديني فيظهر من خلال الإحالات إلى الرموز الدّينية كـ "مريم المجدليّة"، والإشارات الإنجيلية والقرآنيّة التي أُستثمرت إلى تكثيف البعد الرمزي والروحي للنصّ، كما يبرز الموروث الشعبي من تفاصيل الحياة اليوميّة والعادات والطّقوس الاجتماعية ممّا أعطى الرواية جذورها الواقعيّة وأدخلها في نسيج الذاكرة الجماعية الفلسطينية، في حين اتخذ الموروث الأدبي طابعاً معرفيّاً وسرديّاً تجلّى في استحضار شخصيّات أدبيّة مثل: "أحمد درويش" وفي الإشارة إلى روايات وأعمال أدبيّة شكّلت خلفيّة ثقافية للنصّ ولشخصيّاته بما يعكس وعي الكاتب بالمشهد الأدبي العربي وقدرته على دمج هذا الوعي في البناء الفني للرواية.

إنّ هذا التنوّع في الموروثات يبرهن أنّ الرواية ليست مجرد سرد لقصّة بل هي فضاء ثقافي تُستعاد فيه الذاكرة، وتُستثمر فيه الرموز، وتُصاغ من خلاله هويّة مقاومة تستند إلى تاريخها وروحها الجمعيّة.



في ختام هذا العمل حاولنا من خلال هذه المذكرة التطرق إلى موضوع مهم يتمثل في تجليات الموروث الثقافي الفلسطيني، وقد سعينا إلى تقديم نظرة شاملة حول الجوانب النظرية والتطبيقية المتعلقة به، وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي: تعددت تعريفات الموروث في معناها الاصطلاحي واختلفت نظرا لتداين مفاهيمه وتعدد دلالاته، ولكن يعتبر الموروث في تعريفه الأشمل هو ما خلفه الجيل السابق للجيل اللاحق.

- استعان "باسم خندقجي" بكل تجليات الموروث التاريخية والأدبية والدينية والشعبية مما أضفى على الرواية بعدا تراثيا وجماليا.

- إنّ توظيف الموروث التاريخي في الرواية غالبا ما يحدث بصورة مقصودة فهو عملية استحضر الماضي وربطه بالحاضر من خلال توظيف أحداث وشخصيات تاريخية، وهذا ما قام به الكاتب "خندقجي" في روايته معبرا بذلك عن أفكاره بسبب الظروف السياسية القاهرة والقاسية التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

- الحضور الكثيف للموروث الثقافي بأنواعه المختلفة في الرواية كشفت استحضر الواسع للموروث الثقافي والفلسطيني والعربي والإسلامي سواء في بعده الديني أو الشعبي أو الأدبي مما يعكس تشبع النص الروائي بمرجعيات التراثية.

- التوظيف الرمزي للموروث الديني أبرزت الرواية حضور شخصيات ورموز دينية مثل "مريم المجدلية" بصيغ رمزية جديدة تتقاطع مع معاناة الإنسان الفلسطيني وتطفي على التجربة النضالية بُعدا روحيا وإنسانيا.

- تعدّ الرواية الفلسطينية من أبرز أشكال التعبير الأدبي التي صوّرت معاناة ومآسي الشعب الفلسطيني كما أنّها عملت على توعية المواطن الفلسطيني وتوجيهه.
- تعدّد موضوعات الرواية الفلسطينية عامة وفي رواية "قناع بلون السماء" خاصة بين النكبة والاعتقال والحق في العودة وغيرها من الموضوعات التي صورت المذابح الوحشية والمجازر التي ارتكبتها الاحتلال الصهيوني في حقّ الشعب الفلسطيني.
- تناولت الرواية دور المرأة الفعّال في الأسرة خاصة وانضمامها إلى جانب الرجل في المقاومة والنضال. فهي الركيزة الأساسية في الهوية والانتماء.
- تحدث الكاتب "باسم خندقجي" عن أهم الأماكن وإنسابها لفلسطين والغرض من ذلك إفضال محاولة إسرائيل في القضاء على مقوّمات الهوية الفلسطينية واستبدالها بالهوية اليهودية الصهيونية.
- وظّف الروائيون الفلسطينيون تقنيّات السردية في رواياتهم وربطوا بين الماضي والحاضر ومن أبرز التقنيّات الزمنية الاسترجاع الداخلي والخارجي.
- التطرّق إلى الحديث عن العملاء والجوسسة في رواياتهم، وتحديد دورهم في الإفشاء بأماكن المناضلين، وحدّد الدوافع وراء انضمامهم للعدو، والتي تكون إما بالابتزاز أو الترهيب أو التّربغيب في حصولهم على أموال.
- تحدث الكاتب "باسم خندقجي" عن دور الاحتلال الذي يجبر الشخصيات على الاختباء خلف أقنعة، أو تقمص هويات غير حقيقية من أجل النجاة أو من أجل تحقيق حلم.

-تعدّ رواية "قناع بلون السماء" نموذجاً على كيفية تجسيد الموروث الثقافي الفلسطيني في الأدب المعاصر، من خلال تسليط الضوء على الهوية، والذاكرة والرموز الثقافية وتقدم الرواية رؤية عن معاناة الشعب الفلسطيني وأمله في الحرية.

وفي الأخير نأمل أنّ نكون قد وفقنا في بحثنا هذا فإن أصبنا فمن الله وإنّ أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.



القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1-باسم خندقجي: قناع بلون السماء، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، 2023، ط1.

ثانياً:المراجع بالعربية:

1-إبراهيم الجندي: اللاجئون الفلسطينيون بين العودة والتوطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ، 2001، ط1.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورث) مج2، دار صادر بيروت، دت، دط.

3-بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، دار إريد، الأردن، 2010، ط1.

4-بكر عباس: الزمن والرواية، دار النشر، بيروت، لبنان، 1997، ط1.

5-جنات زراد: بنية الاستهلال والاختتام في الموروث الشعبي الحكائي الجزائري، معارف القسم الثاني، دت، دط.

6-حسين مناصرة:المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، بيروت، لبنان، 2002، ط1.

7-حميد لحميداني: بنية النصّ السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1991، ط1.

8-ربيع الصيروت: اللغة والتراث في القصة والرواية، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، دت، دط.

9-رمضان الصُّبَاغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2002، ط1.

10-صالح بن علي عراد: صورة للفطرة وآثرها التربوية في الحياة المسلم، 1426هـ.

- 11- عادل بن حسن بن يوسف الحمد: دور المرأة في رعاية الأسرة، دار النشر، الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب، جدة، السعودية، ط1، 2013.
- 12- عبد العظيم أحمد عبد العظيم: محبة الوطن، تاريخ الإنشاء، دط، 21 يناير 2018.
- 13- عبد الكريم عزوق: التراث الأثري مفهومه، أنواعه، أهميته، حمايته واستغلاله كثورة اقتصادية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، دت، دط.
- 14- عصام عبد الفتاح: صناعة الجوايسيس !!، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، القاهرة، ط1، 1428هـ / 2007م.
- 15- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، دط.
- 16- غسان كنفاني: رواية أم سعد، دار الجمل للنشر والتوزيع، بيروت، 2017، ط1.
- 17- فاروق أحمد مصطفى: الاثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، دط.
- 18- فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشرق، القاهرة، دت، ط1.
- 19- فاروق وادي: ثلاثة علامات في الرواية الفلسطينية: غسان كنفاني، إميلي حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ط1.
- 20- محسن محمد صالح: حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية (الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية)، بيروت، 2020، دط.
- 21- محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مكتبة الأسرة، 2006، ط1.
- 22- محمد رياض وطّار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2002، دط.
- 23- محمد صالح: معاناة اللاجئين الفلسطينيين، دار النشر، بيروت، لبنان، 2010، ط1.
- 24- محمد علي الصابوني: صفوة التفسير، دار القرآن الكريم، بيروت، 1971، مج2، ط4.
- 25- محمد محفوظ جابر: الأسرى الفلسطينيون داخل السجون الصهيونية، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2017، دط.

- 26-محمود درويش: عاشق من فلسطين، دار النشر، بيروت، لبنان، 1996، ط2.
- 27-واسيني الأعرج: كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر العاصمة، 2004، ط1.
- 28-هوكنغ ، وليم ارنست: فلسطين رمز جهاد العرب ، مطبعة التفويض الأهلية، بغداد، 1945، دط.

ثالثا: المراجع بالأجنبية

29-le petit la rousse illustré ,patrimoine: ensemble des bien herités du père et de mère ,héritage commun d'un collectivité d'un groupe humain Paris,2013.

رابعا المعاجم:

- 30-إبراهيم فتحي:معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 1989، (د.ط).
- 31-أبو الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، مادة (و.ر.ث)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت، دط، ج6.
- 32-الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الحى للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 33-مجمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (ورث)، الهيئة المصرية العامة للكتاب دت، دط، ج1.
- 34-المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية: مادة (ورث)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ط4.

خامسا: المجلات:

- 35:مجلة الأوراق، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، دمشق، سوريا، العدد4، 2017.

36:مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، المجلد ب ، ع50، 2018.

المواقع الإلكترونية:

37-<https://www.aljazerzzra.net>

38-<https://ar.wikipedia.brg>

39-<https://ich.unesco.org/doc/src/01852-AR.pdf>



الصفحة	العناوين
	شكر وتقدير
	الإهداء
أبج	المقدمة
32 - 5	الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للموروث الثقافي، والرواية الفلسطينية نشأتها وتطورها
6	تمهيد
7	أولاً: مفهوم الموروث:
12	ثانياً: مفهوم الموروث الثقافي
13	ثالثاً: أنواع الموروث الثقافي
17	رابعاً: نشأة وتطور الرواية الفلسطينية
19	خامساً: الخصائص اللغوية للرواية الفلسطينية
21	سادساً: الخصائص السردية في الرواية الفلسطينية
24	سابعاً: الموضوعات والمضامين
85- 34	الفصل الثاني: مضامين وأشكال الموروث الثقافي الفلسطيني في رواية "قناع بلون السماء"
32	تمهيد
34	أولاً: موضوعات الرواية الفلسطينية في رواية قناع بلون السماء
56	ثانياً: تجليات الموروث الثقافي في رواية قناع بلون السماء لـ "باسم خندقجي"
85	الخاتمة
89	المصادر والمراجع
94	الفهرس
95	الملخص
98	الملحق

الملخص بالعربية:

يُعتبر الموروث الثقافي الفلسطيني في النص الروائي عنصراً جوهرياً في تشكيل الهوية الوطنية، وأداة للمقاومة الرمزية في ظل الاحتلال الصهيوني، وتهدف المذكرة إلى توضيح كميّات توظيف الموروث الشعبي والديني والتاريخي داخل رواية "قناع بلون السماء" لـ "باسم خندقجي"، حيث كانت هذه الأخيرة موضوع دراستنا إذ تطرقنا في الفصل الأول: إلى مجموعة من المفاهيم حول الموروث لغة واصطلاحاً، وكذلك مفهوم الموروث الثقافي، بالإضافة إلى أقسامه المادية واللامادية مع التركيز على أهم الخصائص السردية واللغوية وأهما لموضوعات التي تناولتها الرواية الفلسطينية.

وفي الفصل الثاني: تطرقنا إلى تحليل رواية قناع "قناع بلون السماء" لـ "باسم خندقجي" مستخرجين أهم الموضوعات التي تناولتها الرواية كدور المرأة في المقاومة، الاعتقال، وحق العودة وعلاقة العرب مع اليهود، ثم انتقلنا إلى الحديث عن كيفية توظيف الموروث داخل الرواية سواء الموروث الشعبي كالأكلات الشعبية...، والدينية كالرموز القرآنية والتصوف والتاريخية كالشخصيات والأحداث والأدبيّة.

أمّا الخاتمة فكانت مجموعة من النتائج والاستنتاجات التي توضّح أهمية الحفاظ على الموروث الثقافي الفلسطيني وتوظيفه أدبياً وتربوياً لتعزيز الهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية:

الموروث الثقافي - التراث الفلسطيني - الرواية الفلسطينية - القناع - السماء - الهوية

الملخص بالإنجليزية:

Palestinian cultural heritage in the novel is considered an essential element in shaping national identity and a tool for symbolic resistance under the Zionist occupation. The study aims to explore the ways in which popular, religious, and historical heritage are employed within the novel "A Mask the Color of the Sky" by Bassem Khandakji.

This latter heritage was the subject of our study, as we addressed in the first chapter a set of concepts related to heritage, both linguistically and technically, as well as the concept of cultural heritage, in addition to its material and immaterial divisions, with a focus on the most important narrative and linguistic characteristics and the most important themes addressed in the Palestinian novel.

In the second chapter, we analyzed the novel "A Mask the Color of the Sky" by Bassem Khandakji, extracting the most important themes addressed in the novel, such as: the role of women in the resistance, detention, the right of return, and the relationship between Arabs and Jews, We then moved on to discuss how to employ heritage within the novel, whether it be popular heritage such as traditional foods, religious heritage such as Quranic symbols and Sufism, historical heritage such as characters and events, or literary heritage. We also summarized the novel "A Mask the Color of the Sky" by Bassem Khandakji. The conclusion presented a set of findings and conclusions that illustrate the importance of preserving Palestinian cultural heritage and employing it in literary and educational settings to strengthen national identity.

Keywords:Cultural heritage - Palestinian heritage - Palestinian narrative - mask - sky - identity



التعريف بصاحب الرواية:

1/ باسم خندقجي:

1/حياته"

ولد باسم محمد صالح اديب خندقجي في تاريخ 22 ديسمبر / كانون الأول ،1983 ودرس في مدارس محافظة نابلس حيث التحق بعدها بجامعة النجاح الوطنية للدراسة في قسم الصحافة والإعلام، عاصر جنون وقسوة الاحتلال الإسرائيلي خلال الانتفاضة الأولى، حيث أثرت هذه الأحداث على توجهاته السياسية فالتحق بصفوف حزب الشعب الفلسطيني الشيوعي سابقا، وكان عمره آنذاك 15 عاما، كم يعد من النشطاء الاجتماعيين والثقافيين هو ومجموعة من رفاقه داخل المدرسة ، اعتقل باسم في 2 تشرين الثاني /نوفمبر 2004 عندما كان في سنته الجامعية الأخيرة على يد قوات الاحتلال بعد عملية تسوق الكرمل ، والتي أدت إلى مقتل 3 إسرائيليين وجرح أكثر 50 إسرائيلييا، رغم أن باسم لم يقم بأي نشاط عسكري خلال العملية حكم في تموز /يونيو 2005 بثلاثة مؤبدات وفي شهادة الصليب الأحمر الدولي انه محكوم مدى الحياة ، بالإضافة إلي اتهامه بالمشاركة في "عملية سوق الكرمل" طالبت السلطات الإسرائيلية بتعويض عائلات قتلى العملية بمبلغ 11,6 مليون دولار ، الأسير باسم يقضى محكوميته حاليا في سجن "هيذا ريم" (1).

(1) موقع موسوعة ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> يوم: 2025/06/13 على الساعة 00:18 سا)



2/ سيرته المهنية:

بدأ باسم رحلة الكتابة داخل السجن من خلال كتابته "مسودات عاشق الوطن"؛ وهي عبارة عن عشرة مقالات تسرد الهم الفلسطيني، إضافة إلى: "وهكذا تحتضر الإنسانية" وهي عبارة عن تجربة الأسير الفلسطيني داخل السجون وهمه اليومي، كما كتب ديوانا شعريا بعنوان "طرق علي جدران المكان" و "شق الورد أكليل العدم" وأيضا دراسة عن المرأة الفلسطينية وكتاب "أنا الإنسان نداء من الغربة الحديدية" وكتب روايات "مسك الكفاية سيرة سيدة الظلال الحرة" و "نرجس العزلة" و رواية "خسوف بدر الدين" الصادرة في كانون الأول /ديسمبر 2018 وهي رواية يتحدث عن البطل الصوفي بدر الدين في رحلة تمرده.

استطاع باسم أن يحول سجنه إلى غرفة عمليات ثقافية يدير منها كل مشاريعه الفكرية والأدبية من خلال نشر كتبه، وإعداد حفلات التوقيع لها، والاشراف على "صندوق الأسير باسم خندقجي لدعم ادب الأسرى" الذي أسسه لدعم ابداعات الأسرى داخل السجون وحفظها وقد تبناها شقيقه وذلك من خلال "المكتبة الشعبية ناشرون" في نابلس.

في ابريل 2024 حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية البوكر عام 2024 عن روايته "قناع بلون السماء"، الصادرة عن دار الأدب سنة 2022، وقد قال عنها رئيس لجنة التحكيم "رواية تغامر في تجريب صيغ سردية جديدة للثلاثية الكبرى، وعلى الذات، وعي الآخر، وعي العالم، حيث يرمج التخيل مفككا الواقع المعقد المرير، والتشظي الأسرى والتهجير

والإبادة، والعنصرية كما اشتبكت فيها، وازدهت، جدائل التاريخ والأسطورة والحاضر والعصر وتوقد فيها النبض الإنساني، كما توقدت فيها صبوات الحرية والتحرر من كل ما يشوه البشر، أفراداً ومجتمعات" (1).

3/ دواوين شعره:

- ديوان طقوس المرة الأولى في عام 2009.

- ديوان أنفاس قصيدة ليلية في عام 2019. (2)

2/ ملخص رواية "قناع بلون السماء":

تدور أحداث قناع بلون السماء "لباسم خندقجي" حول شاب فلسطيني يحاول أن يتقصى واثبات السيرة التاريخية لمريم المجدلية، وهذا الشاب يقوم بتسجيل صوتي من فترة لفترة محدّدة التاريخ واليوم حيث يقوم بالتحدث عن المغامرات والأحداث التي خاضها، وقد قسمت الرواية إلى عدد الأجزاء وأقسام:

نور مهدي الشهدي: المقيم في المخيم المكون من ثمان آلاف لاجئ التحق بمعهد الآثار. ثم تحدث عن معاناة المرأة الفلسطينية ووصف رحلتها التي تقوم بها من أجل زيارة ولدها السجين برحلة الشتاء والصيف ورغم الظروف وطول المسافة إلا أنها لم تياس من أجل لقاء ولدها. ثم يبدأ نور يتذكّر صديقه مراد وما عاشه معه أيام الصداقة وكيف تم اعتقاله من طرف العدو من بين أحضان أمه على مائدة الفطور في شهر رمضان. أمّا مراد فقد كان يبعث برسائل

(1) موقع موسوعة ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> يوم: 2025/06/13 على الساعة 00:18 سا (

(2) موقع موسوعة ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org> يوم: 2025/06/13 على الساعة 00:18 سا (

إلى صديقه يخبره بالمعاناة التي يعيشها في السجن مقدّما لنور بعض النصائح وأنه عليه التخلّي عن فكرة مريم المجدلي.

نور هو ذلك الطفل اليتيم الذي ماتت أمّه وتزوج والده من خالته فترعرع في جوّ من البؤس والحرمان إلى أن صار شاب له طموح كأبي شاب في فلسطين خاصة وفي العالم عامة، فقد كان يتقن اللّغة العربية وملاحم وجهه وجسده يشبه الأوروبي، وذات يوم كان في سوق العاديات والخردوات والملابس المستعملة وقعت عيناه على معطف جلدي مستعمل فاشتراه فكان الحظ معه هذه المرة فقد وجد في المعطف بطاقة هوية صهيونية وأنّ اسمه مطابق لاسم الصهيوني "الاسم: أور".

اسم العائلة شايرا. وهذه كلها تعني بالعبرية اسم نور.

في نهار من رمضان كان نور ممدّدا فوق السرير معزولا أخذ يتساءل من هي المجدلية؟ وما هي الأحداث الواقعة لمريم؟ فمريم في نظره هي تلك المرأة الثرية، القويّة، الغنية لكن هناك مس شيطاني أصابها فتهجر أهلها وتجارها وتشرّد وتورّط إلى أن يخلّصها شيطانها فتعود لرشدها وتكافئه بالعطر.

يقوم نور بإخبار صديقه مراد عبر التسجيل بأنّه حصل على قناع، واسم سيستعمله ليتجول في شوارع وميادين تل أبيب والقدس الغربية وأنه لم ينتحل الاسم فقط بل تخيّل أيضا وبينما هو يستمع للأخبار كعادته، توقّف عند إصدار إعلان عن "معهد أولبرايت للأبحاث الأثرية" ثمّ يعود ويتفقد رسائله الإلكترونيّة باحثا عن إشارة أو مكالمة من الشيخ مرسى الذي نصحه بالعودة إلى "رام الله" لأنّ القدس تشكل خطرا عليه وأنّها ليست آمنة.

لقد عمل نور مرشدا سياحيا في القدس من أجل استكمال دراسته العليا فيما بعد، فقد قبل في إحدى شركات السياحة والسفر في القدس بسبب إتقانه للغتين العبرية والانجليزية وسعة اطلاعه الأثاري والتاريخي جعلب شكيب القصابي يتغاضى عن أصل نور اللاجئ وتسلمه إلى القدس بلا تصريح عمل وأنه سوف ينكر أي صلة بنور إذا ما تم القبض عليه. إلا أن نور لم يغيب آمال أستاذه وأصبح مرشدا سياحيا بامتياز، وذات يوم وأثناء مل كلف رب عمله بمرافقة مجموعة سياحية أمريكية فقام بإطلاع المجموعة عن المعالم الدينية والتاريخية وعند توقف السياح أمام موقع أثري يعلم نور أسراره جيدا فأخذ يخبرهم ويحكي لهم عن حكاية الموقع التوارثي وتحويله إلى موقع سياحي ساحر، هذه الكلمات حسب ما أشار له منشور سياحي صهيوني وأثناء توقفهم على قبر "شمشون البطل وأبيه منوح" فجأة توقّف نور معلّقا عن خطابه السياحي التوارثي ليصيح ويقول لهم بأعلى صوت أن ما قاله لهم لا أساس له من الصحة، وأنهم يقفون على أرض الفلسطينية، وأنها نُكبت وهُجّر أهلها، وهذا ما يدلّ إلاّ على أن نور هو ابن فلسطين حن ولو ارتدى ألف قناع. فكان هذا هو سبب طرد نور من عمله. فطلب منه الشيخ مرسى بالاختفاء في أعماق زقاق من أزقة مخيمه.

اختبأ "نور" في المخيم ليعود مرة أخرى إلى تسجيل بطاقة جديدة (عصرية الثلاثاء 20 نيسان 2021)، ويعود إلى الحديث عن مريم المجدلية ويخبر صديقه مراد بأنّه انتحل شخصية أور وأنه زين ملامحه بهوية وقلادة "نجمة داوود" التي يرتديها وأنه أصبح لا يريد التنازل عن هذه الهوية حتى يحقق هدفه.

ثم يقبض على هاتفه عائداً إلى الصفحة الإلكترونية. ليتمكن في التفاصيل الخبر وهو افتتاح موسم التنقيب الثاني ضمن مشروع واد بزراعي الإقليمي جنوب "تل مجد" وتحت عنوان الفليق الروماني السادس بين الواقع والأسطورة.

فيسعى نور إلى عدم تفويت فرصة المعهد "أولبرايت" وهنا سوف يرتدي من جديد قناع "أورشائيرا" للمرة الأخيرة حسب رأيه فيقوم ويتجه نحو الصندوق ليخرج منه بطاقة هوية زرقاء اللون وقلادة ذهبية لنجمة داوود يضعها في جيب بنطاله وبعض الملفات الورقية الخاصة ببحثه الروائي. ثم يجري مكالمة مع شخص قائلاً:

شيخ مرسى ها أنا في طريقي إليك ... إلى القدس.

قام نور بحوار بين نفسه وشخصية "أورشائيرا" محاولاً انتحال شخصية "أور" ثم يعود مرّة أخرى ليقوم بتسجيل بطاقة جديدة (عصرية الأربعاء 21 نيسان - القدس)، ملامح العلاقة بين المجدية وبطرس حيث يطرح عدّة أسئلة من نحن؟ إلى أين نحن ماضون؟ ثم يخاطب صديقه "مراد" عبر هذه التسجيلات مع علمه الكامل بأنّها لن تصله ويخبره بأنه في قلب القدس وأنه تسلل عبر إحدى الثغرات في جدار الفصل العنصري المُقام ما بين ضواحي القدس وضاحية "الرام" وأنه تسلل إليها بلا قناع أي "نور" الشاب الفلسطيني أما حين يتجول فإنه يكون "أورشائيرا" ويقول له أنه رغم القناع الذي يرتد به إلا أنه لا يزال "نور" وأنه لم يجلب معه سوى قناع ومشروعه وأنها سوف تكون الأخيرة. ثم دخل عليه الشيخ مرسى حملاً معه البطاقة: قائلاً: لقد جلبت لك سيرتك الذاتية والمهنية كما طلبت، فأخذ "نور" يتفقد ملفه ويقول سوف ألتحق

بالبعثة الأثرية هي أهم فرصة بالنسبة لي للانتهاء من مشروع روائي وأنه سوف يرحل مرتديا قناع "أور".

وفي الصباح استيقظ في تمام الثامنة صباحا وارتدى بنطاله، وانتعل حذاءه، وتفقّد بطاقته المزوّرة، وأخرج قلادته ثم ارتداها وقام بتحويل لغة هاتفه من العربية إلى العبرية وخرج متجول في شوارع القدس بشخصية "أور"، ثم توجه نحو المعهد، لتسجيل نفسه في البعثة.

مع العلم فإن "نور" عمل متطوع في تنظيف الآثار كالقطع الفخارية وغيرها، وهناك تعرف على أصدقائه، وعند العودة من العمل التقى بالشيخ مرسى الذي نصحه بالتخلي عن الشخصية المنتحلة والعودة إلى العمل الذي أحضره إليه، لكن "نور" رفض وطلب من الشيخ أن يأخذه إلى زيارة واصطحابه إلى إحدى الزوايا الصوفية.

أخبر "نور" صديقه مراد باللحظات التي تعرف عليها على "أيالا" وأنها دعتة إلى مرافقتها معه إلى السبعة.

جاء يوم الانطلاق إلى كيبوتس وانتحل نور شخصية أور ودخل إلى كيبوتس وأثناء دخوله أوقفه رجل الأمن وأخذ يسأله عن هويته فخفف قلب "نور" حتى سمع صوت "أيالا" قادمة من سيارتها وصاحت وقالت بأنه واحد منهم وأثناء الرحلة طلبت "أيالا" من "نور" الاهتمام بها وأنهما الوحيدان اليهوديان في المجموعة، وأنه يجب عليه الاعتناء بها وعند وصولهم توجه "نور" إلى حجرتة وقام بتسجيل صوتي في مراسلة صديقه مراد واصفا له رحلته وما شاهده.

دخل "نور" إلى قاعة المؤتمرات بقناة الذي يتواجه فيه العديد من الأشخاص، فأخذوا يتعارفون عن بعضهم وبينما كان "نور" يستمع إلى الأسماء، حتى لفت سمعه اسم عربي أصيل

"سماء إسماعيل" وهي فتاة من حيفا ذات جمال كاد من خلاله نوران يسقط من شدة سماعه إلى اسم عرب فلسطيني، تمالك نور نفسه، وأخذ يركز على حديث "بريان" حول البعثة وأهدافها ثم قام بتوزيعهم إلى مجموعات، أمّا "نور" فقد كان له رغبة في انضمام "سماء" إلى مجموعته، إلا أن الحظ لم يحالفه، لانضمامها من مجموعة أخرى، وأثناء قيام البروفسور باستعراض مجموعة من البطاقات، كان "نور" يسأل حول حضور سماء لهذه البعثة وهل أنها الوحيدة الفلسطينية، أم هناك عرب آخرون. أمّا "أيالا" فقد لاحظت اهتمام نور "سماء".

عاد نور إلى حجرته، وأخذ يصرّح لصاحبه مراد بأنه أصيب بصدمة عند سماعه اسم "سماء" وأنها تركت أثرا ليه.

انطلقت الحافلة مع مجموعة أعضاء نحو موقع الحفريات فأخذ يقومون بتسجيل الملاحظات وقاموا باستخراج التراب العالق في القطع الفخارية، أمّا "نور" فقد لقي إعجاب من طرف أستاذه وأن "نور" قد تفوق على أصحابه بتقدير لبلوغه أرضية الحفريات بوقت قياسي. هنا فإن هذا لا يعني أنها إسرائيلية أو يهودية وأن هناك فرق واسع وشاسع من كونها عربية وفلسطينية أو إسرائيلية، حاول "نور" التدخل لكي "أور" منعه من التدخل، وعند العودة إلى المقر راسل "نور" صديقة "مراد" وأخذ يعتذر منه، لكونه قام بعمل مترجم صهيوني، وأنه أثناء تجوّله كان يودّ إحراق نفسه وقناعه. أمّا الآن فهو "نور الشهيد"، ذلك الشاب الذي اخترق أسوار مستوطنه مجدو قاصدا ناحيتها الشرقية الجنوبية.

وقف نور بجانب البئر وأخرج من حقيبته معدّاته ثم نزل إلى قعر البئر وبدأ يحفر إلى أن عثر على كوة ونجح في إخراجها ليتفاجأ بوجود باب به نور فأطفئ مصباحه، حتى سمع أصدا

همس منبعث منها فإذا بامرأة شَبَّه بها "سماء إسماعيل" صديقي "مراد" لقد كان حلم جميل تمنيت أن يكون حقيقة.

صعد "بربان" نحو المنصة وأخبر البعثة أن هناك ضيوف تمت دعوتهم لحضور المحاضرة، وبعد الانتهاء من المحاضرة انصرف "نور" وأخذ يتفقد هاتفه ويتبادل الرسائل مع صديقه "مرسى" ليطمئن عليه، وما انتهى منها حتى ظهرت "سماء" بحضورها المؤثر ليقع جدلا كبيرا بينها وبين "أيالا"، أما "نور" فقد توقف مكتوف اليدين أمام الشجار لتسحب "سماء" فرآها نور واقفة بجانب شجرة واقترب منها وأعلن لها عن أصله وأنه عربي مثلها وأنه فلسطيني لاجئ ويسكن في مخيم وأنه يكتب رواية تاريخية عن "مريم المجدلية" وهذا هو السبب وراء اقتنائه القناع، وانتحاله هوية صهيونية وأن "أور" هو مجرد قناع مثل هويتها الزرقاء التي تحملها، لتردّ عليه وتقول له أنه خسر عمره ليرتدي هذا القناع وطلبت منه أن يتعد عنها.

خاطب "نور" صديقه مراد بأنه يمكن أن يكون مجنون لكنه ليس خائنا وأنه أراد أن يقول لها أن تسأل عنه صديقه مراد والشيخ "مرسي"، وأنه أصبح عاجزا أمامها لكنه أحس بالراحة بعد اعترافه لها، وقد شبه نفسه بالمسخ الذي ولد من رحم النكبة والأزفة.

ساءت الأوضاع بين حماس واليهود لتقوم حماس بإرسال إنذار لليهود وتمهلهم حتى الساعة السادسة، وما إن جاء الوقت حتى أعقبها دوي عنيف ودوي صفارات الإنذار لترحل "سماء" عن قاعة المؤتمرات وبهم الخوف وسط ذلك المؤتمر، وما هي لحظات حتى أعلن البروفسور عن تعليق العمل بموسم التنقيب حتى شعار آخر، حمل "نور" الحقيبة وتوجه للخروج وما أن سار بضع عشرات الأمتار إذ سيارة بيضاء كانت آتية خلفه لتتوقف وتفتح بابها الأمامي، إذ بصوت

فلسطيني أنثوي مبحوح يقول له: اصعد أيها المجنون وأنها لن تتركه وحده في هذه الطريق، إذ بها "سما إسماعيل" فقام نور بنزع قلادته نحميه داود وألقاها بعيد نحو السهل وقام بتمزيق هوية "أورشائيرا"، كما عمل على إعادة برمجة هاتفه إلى اللغة العربية، ويقول لـ "سما إسماعيل" : "أنت هويتي ومالي".

